الدكتور
أسعد علي

فرح الصائمين والصائمات

دار الإصالة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الدكتور
أسعد علي

فرح
الصائمين والصائمات

دار الإصالة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

المقدّمة

-١-

« أمين وصادق » : صديقان يلتزمان باللّقاء شهراً .. وفي هذا الشهر يقرآن : كتاب الجسد .. وكتاب النفس .. قراءة الصّائم المتأمل .. ويتحاوران حول تفتحات المواسم النفسيّة والجسدية ، وهما يُطبقان منهجاً سمّياه : منهج الحكيم .. ويقولان : إنه يمنح الشباب الدائم ، على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى الأمم ..

كان« أمين وصادقٌ »يمارسان المنهج بسعادة نادرة التحقق.. فاقتديتُ بهما .. وتبعتهما كالظلّ ، أتعبّأ بقوة الفرح التي تفيض من لقاءاتهما..ومن معبأت تلك القوّة أحببت تقديم هذه الأفراح الثلاثين .. فماذا يجد الصّائمون في كل فرح منهـــا ، لأجسادهم ونفوسهم ؟.. بل ماذا يجد في كل فرح منها أي قارىء عاديّ من بني البشر ؟

-٢-

لا أعرف ، تماماً ، ماذا يشكف أولئك وهؤلاء ..

لكنني أعرفُ أنّ عالم البشر مليء بالمحزنات والمقلقات والمخاوف ... وآلامُ البشر يعرفها المتألمون ، كباراً وصغاراً ؛

ألا يؤلم الكبير انحدار من حوله ، من بني جنسه ، إلى منحدرات الصّغار ؟

ألا يُؤلم الصغير تعالي من حوله عن الاهتمام به حتى تموت مواهبه ؟

لا أحدد مستويات الصغار والكبار .. فكلٌ يصنفُ نفسه في الدّرجة التي يعانيها من آلام الحياة وأحزانها .. أو من آمالها وأفراحها ..

هنا ، أحدد أمراً واحداً . فما الأمر ؟

-٣-

أحدّد أن « أفراح أمين وصادق » منابع سعادة في قارات فرح .. وأعرف أن السياحة معهما ستنقل السائح معهما إلى حالات جديدة من حيوية الجسد وهمة النفس، فيحس ما أحسه أمين في « الفرح الثامن » عندما قال :

« كنت أرى أن نفسي بركة ضوء » ، وان آلاف الأشعة تتدفق إليها من اتجاهات مختلفة ..

وكنت أحس أن موسيقى هذا النور ترفعني باجنحة ناعمة

قوية ، فأرى من آيات الله في نفسي وفي العالم ..

شعرت بحماسة مدهشة للعمل ..

أحسست ان قوة جسدي تنهض من كسلها ، وتسرح بي في رغبة صادقة لإبداع شيء يحقق وجودي الحقيقي في هذا العالم..

أحسست أن الله يمدني بحماسة الرغبة ، ويمنحني ثقة لا حدود لها .. وهذا الاحساس أشعرني بكرم الله عليّ ، فهو ، بتفتح معنى قوله القدسي في نفسي ، **أطمعني ثقة بنفسي ، وسقاني إيماناً بقدرتي ، وأورق فصول نفسي وأزهرها وأثمرهـــا بآلاف من المشاعر العليا التي جعلتني وجوداً يجاهد للتحقيق على مستوى أعلى ..**

شعرت أن للروح غذاء وشراباً يقويانها كما للجسد غذاؤه وشرابه ..

ولما كانت الروح تحرك الجسد وتقيمه ، فقد انتشرت نخوتها ومروؤتها في جسدي كما تسطع الشمس في السماء فتطرد من العالم كل ظلام ..

احسست أنني في حـــالة نفسية منيرة ، وأن نور النفس أضاء للجسد سبيله » ..

هذه هنيهات من احساس « أمين » في « الفرح الثامن » .. انها بوابات الى مطلق من السعادة .. **فكيف ننطلق مع « أمين وصادق » من هنيهات الفرح الى مطلق السعادة ؟**

ليس امامنا إلا سبيل واحد .. فمن رأى ذلك السبيل ؟

هل نجرب اعطاء أنفسنا اجازة من مشاغلهـــا اليومية المعتادة ؛ لنقوم بسياحة إلى قـــارات الفرح لا تستغرق إلا بضع ساعات من اليوم .. لكن آثارها تستمر في حياتنـــا ، توقاً تقدمياً يطور وجودنا ، فنغير ما في انفسنا البشرية ، ونغير طبيعة الوجود الظاهر لنكتشف اسرار غناه الخالدة ..

أليست هذه التجربة ممكنة ؟

يصف « امين » صديقه بقوله في الفرح السابع : « كنت أعرف قدرة صديقي على التكيف والارتفاع فـــوق المتاعب والمصاعب اذا لمسته كهرباء التوجيه والاثارة » ..

وأنا أثق بقدرة كل انسان على الارتفاع ، إذا انتمي الى « الامين والصادق » وجرب « منهج الحكيم » ..

لذلك أفتح أبواب الأفراح الثلاثين ، لكل انسان ؛ ليكون أميناً وصادقاً ، فيتذوق هنيهـــات الفرح ومطلق السعادة ، كما تذوقاها .. ويكون إنسان الحق التقدمي ..

فمن يجرب هذه السياحة ؟ اللهم لا تجنبني هذه التجربة وامنحها لي لأكون لك ..

دمشق : ٢٦ / ٧ / ١٩٧٨

الفَرَح الأَول[٧]

فرَح الفطَام في جنّة السّعَادة

ـ أيفرحُ الصّائمُ في رمضان المبارك ؟

هكذا سألني صديقي ، ولم ينتظر جواباً على سؤاله ، بل مضى يتحدّث بألمٍ وحبٍّ عن الكيفيّة التي يذهبُ بها الصائمون في رمضان إلى أعمالهم :

ـ فهذا المتعوّدُ على تناولِ القهوة أو الشاي أو العصير قبل البدء بعمله ؛

ـ وهذا المدمنُ على التدخين ، كيف تجيء أفكاره قبل أن يرى سُحُبَ لفافته تعبُر جوّ مكتبه أو مكانَ عمله ؛

ـ وهذا المغرَمُ بطعامِ الإفطار في الصّباح ، إنه لا يَروقُ إذا لم يتروّقْ ؛

ـ وهذه المتخيِّرةُ من أطايبِ الطعّام والشراب لأطفالها، كيف تضبطُ أعصابَ شهوتِها إلىتناولِ شيء منأطايبها ؛..؟

كنتُ أتأملُ وجه صديقي كمن يرى صوراً حيّة تتحرّك على شاشة مرناةٍ . لقد نقلني إلى جواء الصّائمين فعلاً ؛ لكن

ليس كلُّ الصائمين من هذه الأنواع ؛ فهناكَ صائمون فرحون بصيامهم ، يعتكفون ويُسعَدون في شهر الصِّيـــام ، لكنَّ صديقي صَوَّر الجانِبَ العمليَّ المتحرِّك من الصَّائمـــين ؛ فالمعتكفون في منازلهم أو في المساجد لا يعُانون ما يُعانيـــه العاملون في المتاجر والدوائر والمعامل ..

وبعـــد حوارٍ طويلٍ ، دار بيني وبين صديقي ، حول الصِّيام والصَّوم ، وحول الحكمة من كلٍّ منهما ، وحول الحكمةِ العامّة ، من شهر رمضان المبارك ، أعادني إلى نقطة البداية ، وطرَح السؤالَ بصياغاتٍ مختلفة ، كلُّهـــا تبحث عن الفرَحِ ، الذي يمكن إرشادُ الصَّائم إليه ليكون سعيداً في صيامه :

ـ فكيف يكونُ الصَّائمُ سعيداً فعلاً ؟

ـ كيف يَستأنس الصَّائمُ بجوع النهار طوال رمضان ؟

ـ هل تتأثرُ قواه الجسديةُ والمعنويةُ بالكفِّ عن تنـاولِ الطعام في الساعات المحدَّدة للصيام ؟

قلت لصديقي :

فهمتُ خلاصة أفكارك ، وأشعرُ أنَّك تُعيد ذاكرتي إلى سنواتٍ مضتْ ؛ فمنذُ عشرين عاماً شعرتُ بالكآبةِ تحتلُّ نفسي بحلول رمضان المبارك ؛ لكنني في ذلك العـــام اهتديتُ إلى عيادة حكيم علمني كيف أفرح بالصِّيام ؛ بل

علمني كيف ألجأ الى الصيام ليحميني من الكآبة ؛ عرفت جنة الفرح وفصول السعادة في الصيام والصوم بفضل ذلــك الحكيم الذي قصدته بنفسي وفتح لي مواسم الفرح بنفسه ..

وأوشك صديقــي أن يقفزَ من نفسه ليعرفَ هـذا الحكـيمَ ومكانَ عيادته ، ليتعرَّفَ إلى مواسم السَّعادة في الصيّام ، ويحَملَـها إلى جمهور الصائمين والصائماتِ في وطنه .. قال :

– وكيف علمكَ الفرح بالصيّام ؟

– بل كيف وفق بين الجوع والفرح ؟

– بل كيف تحصَلُ السَّعادة لجائع ؟

أطبيب يقول هذا ؟

ُقلتُ لصديقي :

إنـَّكَ تتلهفُ بأسئلتك كجائعٍ فعلاً .

قال :

بل كمن يُفطمُ عن شيء يُحبُّه .

قلت :

إنكَ لستَ أحدَ أزرار الفرح قبـــل الوصول إلى عيادة الحكيم .. فاستغربَ صديقي مستفسراً بنظراته .. وتابعتُ حديثي : لأنكَ ذكرتَ الفطام ، وأنتَ تعرف أن فطـــامَ

لأطفال يعني مرحلة من النضج يصبحُ الطفلُ فيها قادراً على تناول طعام جديدٍ غير ما اعتادَ عليه .. فكّر قليلاً .. ألا ترى أن فريضة الصيام تعني للمكلف بها نوعاً أسمى من النضج يتطلعُ به الصائمُ الى طعام آخر ، يجنيه نفسياً وروحياً .

واستبشر وجـــه صديقي كسماءٍ تفتحت أشعة الفجر في جنباتها وقال :

- إنّك أيقظتَ في نفسي معـــاني الفرح بأحاديث النبي العربيّ محمّد (ص) ، إذ يقول :

« للصّائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرحَ بصومه ، والصيام جُنة » .

قلتُ لصديقي :

غير أنّ الحكيم يشرحُ لكَ مثل هذا الحديث الشريف على ضوء اكتشافـــات الطب الحديث ، ويريك الحكمة الإلهية في فرض الصيام والصوم على الإنسان ليكون سعيداً .

قال صديقي :

- أحبُّ ان أسمع رأي الحكيم بهذا الحديث مثلاً ..؟

وقلتُ :

أحدّثك بذلك في اللقاء القادم وأطمئنكَ ان الطب الحديث يبني على الصيام مناهج الصحة التي تجعلُ الإنسان يعيش شاباً

طوال حياته

أفلا يكفيــك لتفرحَ بالصّيام أن يضع حياتك في طريق السعادة ويجعلك تحيا الشباب ..؟ [1]

---

١ – المنطلق، فيمحاورات الصديقين، يعتمد على معاناة الصيام والأحاديث النبوية فيه ؛ مثلا :

أ – صحيح مسلم : باب فضل الصيام .

ب – منهل الواردين ، شرح رياض الصالحين ، للنووي .

باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به .

الفرع الثاني[1]

منح الشباب الدائم

أخبرني صديقي انه ينتظرني من وقت مبكر ليعرفَ سرّ ذلك الحكيم الذي يجعل الصيام منهج صحة يضمن للإنسان شباباً دائماً طوال الحياة ، ويسيرُ به في طريق السعادة .. وما أن تبادلنا التحية حتى دخل بالموضوع فقال :

« تأملتُ هذه الليلة بأفكارك التي أثرتها حول الصيام والصوم وحول الحكيم الذي يشرح هذه الفريضة الإسلامية شرحاً علمياً يفتحُ للمؤمنين آفاقَ سعادةٍ وصحةٍ .. وعدتُ إلى قراءة الحديث النبوي الذي يذكر فرحة الصّيام وفرحة الصوم .. والذي ارجوه منكَ هذا الصباح أن تعرّفني بذلك الحكيم أولاً ، ثمّ تشرحُ لي قواعد الصّحة والسعادة في فهمه لفريضة الصيام ..

وأجبت صديقي :

إن هذا الحكيم يمتازُ، قبل كل شيء ، **باطلاعه على التراث الديني اطلاعاً شاملاً ، ويمتاز بثقافته العلمية الحديثة** ، فهو طبيب مختص بعلم الأعضاء الداخلية وخصوصاً جهاز الهضم وصلاته بغيره من الأجهزة البدنية الأخرى .. **والجميل في حكمة**

هذا الحكيم أنها بسيطة قريبة ، يستطيع كل إنسان تنفيـذ قواعدها إذا أراد ، ويصل إذا فعل الى نتائج تفرحه وتسعده، بل تشفيه من أمراضٍ عديـدة إذا كان مصاباً ، وتقيه من الإصابة بها إذا كان صحيحاً معرضاً لها . .

وهتفَ صديقي : أأنت تتحدّث عن معجزاتٍ ، أم عن وقائعَ في الحياة ؟

وأجبت صاحبي بهدوء يطمئنه ويؤكدُ له أن الحديث حديث وقائع ، وانني سأشرح له ما فهمته من دروس هذا الحكيم التي تقرأ أصولَ الدين قراءةً حياتية حديثة . قلتُ :

لنأخذ جزءَ الحديث النبويِّ القائل : « **الصيام جنة** » . انـّهما كلمتان تشكلان جملـةً واحدةً ، تعني أن الصيامَ مثلُ المجن يقي صاحبه . وهـذه الوقاية يمكن ان تكون وقايةً من نار جهنم في الآخرة ، كما يرى بعض شرّاح الحديث . . ويمكن أن تكون وقاية منَ الإصابةِ بأمراضٍ معدية يُسببها تراكمُ الطـّعام وبقاياه في الأمعاء .

هذا مجمَلُ معنى هاتين الكلمتين ، كما نفهمها ؛ لكنّ معناهما في مختبر الحكيم يُصبحُ تفاعلاتِ صحّةٍ وسعادة ، أي تفاعلاتٍ تنتجُ سعادة الصّحة الحسية ، وتنتج سعادة الصّحة النفسيّة أو الروحية . ومـا أدري إذا كنتَ تحبُّ معرفة التـّفاصيل أم تكتفي بمعرفه هذا الإجمال ؟

وأشار صديقي بالمتابعة ، بل أبدى احتجاجاً على هـــذا السؤال ، وقال :

إنَّني أحلمُ بهذه السعادة التي ترفعُ النفسَ إلى آفـــاقِ معرفـــةٍ جديدةٍ لأمور نَعيشها تقليدياً ، دون التوقفِ عند أسرارها العميقة . إنَّني أشعرُ باللّذة في هذا التَّمييز بين مـا تُسمّيه الصِّحة وتربطـــه بالنفس أو الرُّوح .. لكن الذي لم أدركه بعدُ ، هو ما تُسمّيه تفاعلاتِ الحـــديث النبوي في مختبر الحكيم ، فكيف يجري الطبيب تفاعلات النصّ الدينيّ؟

– وابتسمتُ لصديقي فرحاً بطموحه وفضوله ، فهو يُريد أن يعرف سرّ كلّ شيء ، وقلت له :

أعني أنّ الحكيم يختبرُ معنى النصّ الدينيّ ، ويربطُ به احتياجات الإنسان في عصره ؛ فيكتشف الحكمَ العميقـة من النصّ ؛ مثلاً حكمة الصّوم :

إن الإسلام فرضَ الصِّيامَ كما فرضته الأديانُ السّابقـــة جميعها . هذا أمرٌ معروف ويُطبقه المؤمنون بالدين دون شرحٍ أو إدراكٍ علميّ لفوائده ؛

لكنّ الطبّ يُعلمُ الأطباء بالاختبار : « **أن الصوم أحسن ترياق للسموم المعويةِ** ، ويؤكدُ حكيمي أن سموم القولون الأيمن والأيسر في أمعاء الإنسان وراء أوجاع العضلات ، وراء الصُّداع والأرق والعديد من أمراض القلب والأنواع المرضيّة

التي يعالجها أصحابها عند أطبّاء مختلفين .. ولا أحبُّ أن أفزعك بتعداد السمُّوم التي يحملُها الدّمُ من الأمعاء ، وكيف تؤذي تلك السموم الغددَ ولا سيما الثديين والغدّة الدرقيّة وسائر الغدد الصّماء وخصوصاً عند السيدات .. بل أحبُّ أن أطمئنك إلى النتائج التي توصّلَ إليها هؤلاء الأطباء ، وأكدها لي حكيمي بقوله :

إن الصيام من أحسن الطرق العلاجية والنظم الصحية ، وهو لا يوهن الصحة بل يحفظها ويقويها ، ولذلك فرضته الأديان جميعاً ، وهو ضروريٌّ للأصحاء ، والمرضى .. **ولذلك لخص النبي العربي (ص) تطور الكشوف الطبية بقوله : « الصيامُ جنة »** .

وهتف صديقي : وكيف شرحَ « عبارة الفرح النبوية » ، واعتذرتُ لصديقي بالقول : غداً إن شاء الله ، ندخلُ في مختبر الصّيام ونعرف مفاعلة الفرح ..

الفـرح الثالث

ما النظافة الداخلية لمن يعيش مائة عام ؟

فكرتُ بلهفة صديقي « صادق » لمعرفة تفاعل الفرح في مختبر الحكيم ، ونويتُ أن أسبقه في المجيء هـذا الصَّباح ، تعبيراً عن تقديري للهفته الصَّادقة مثل اسمه إلى معرفة الفرح في الصِّيام ، وإلى إدراك جوهر الدِّين المُسعد للإنسان في كل زمانٍ ومكان .. لكنني فوجئت بصديقي ينتظرني في سيارته قبل موعد انطلاقنا المعتاد إلى عملنا بساعة ، قلت : لماذا تبكر هكذا يا صادقُ ، وأنت تعرف أنَّ موعدنا في السابعة والنصف من كلّ صباح من أصبحة رمضان.

فأجابني :

أحببتُ هـذا اليوم أن أقرأ في صحيح مسلم ، الأحاديث النبوية التي تتعلّقُ بمحاوراتنا ، لأرى إذا كنتُ أستطيع فهمها بصورة قريبة من الشروح العلمية – الطبّية التي درستها على الحكيم . وإنني أتملَّى منذ ساعة في قول النبي العربيّ (ص) :

« وللصائم فرحتان يفرحُهما:

إذا أفطرَ فرحَ بفطره .
وإذا لقي ربَّه فرح بصومه . »

– قلت : وماذا بدا لكَ من تأملاتــكَ في حديث النبي (ص) ، وهل أفرحكَ هذا التأملُ ؟

– نظر صادقُ الى نصّ الحديث في الصحيح ، وحدقَ بي ، وبقيتُ مركزاً نظري على حروف الصحيح ، لكي لا أبوحَ له بما أريدُ أن يفهمه من الحديث ، **لأنني أحب أن يكتشــف بنفسه** .. ثم أخذتُ منه الصحيح ، وقادَ سيارته ، ثمّ انطلق بنا ، وكأنني أسمعُ صوت تفكيره .. وبعد دقائق من الحركة في قلب المدينة ، قال :

سبحان الله ، ما أشدّ فرحي في هذه الدقائق ، إنني أشعر بنشوة الصيام تملأ فضاء نفسي .. وكنتُ أفكر بالفرحين : فرح الفطر ، وفرح الصوم ، في الدنيا والآخرة .. **لكنني أحب أن أعرف منك «يا أمين» ، كيف يشرح الحكيم فرح الفطر من وجهة نظر الطب . اعني كيف يفرح الصائم بفطره ؟**

قلت: إن الحكيم يا صادق **يكتفي بوصل الحقائق ببعضها**، وكشف الستارة عن أسرارهـــا ، فنحن نعرف المغزى من القول المشهور : لا نأكلُ حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع .. لكننا لم نتوقف عند فلسفة هـــذا القول الذي يؤكد بدوره « فرحة الصائم بفطره » ..

فالأطباء يعتبرون الصّيام فاتحَ الشهية الوحيد .. ومنبعُ الفرح يكمن في الجوع الذي يُريحُ المعدة من التراكماتِ التي فيها ، ويريح الأمعاء من البقايا الطعامية التي لم تطرحها بعـــد . ففي سنة ١٩٢٢ ، اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف افتتح الدكتور « جايلوردها وزر » عيادته في مدينة شيكاغو لشؤونِ التغذية والعلاج بها . والدكتور هاوزر هو صاحبُ الكتاب المعروف : « **عش مئة عام** » .

وأدعُ الدكتور هاوزر يروي لك القصة ، كما فعلَ حكيمي يومَ دلّني إليه ، يقول :

« فقد تكاثرَ على باب هذه العيادة أصنافٌ شتى من الخلق ، الغالب أنهم طرقوا باب كلّ طبيب من قبلي فـــلم يُجدهم ذلك شيئاً . فكان مجيئهم إلى عيادتي الحديثة العهد امتحاناً قاسياً لها ... وقد وجدتهم جميعاً على وجهِ التقريب يشتركون في شيء واحد : فكلّهم يأكلون كمياتٍ أكثر ممّا ينبغي ، ولكنَّ محصولها من عناصر الغذاء الجوهرية أقـــلُّ ممَّا ينبغي . فهم **متخمون تحل بهم متاعب التخمة ، ولا يجنون منها إلا عكس التخمة وهو الجوع وفقد التغذية** ، كانـــوا يتخمون أنفسهم بتناول أكثر ممـا ينبغي من النشويات والسكريات ، أي كانوا يملأون بطونهم بالخبز الفاخر الأبيض والمعكرونة الفاخرة والأرز المقشور ، والحلويات المصنوعة من السكر الأبيض والشكولاته وما إلى ذلك ، **فيجتمع عليهم الشرّان : التخمة والجوع** :

تخمة البطن بالكمية ، وجوع أعضاء الجسم والدم للغـــذاء الحقيقي ..

والمرضى الذين من هذا الطراز مصابون بنوع من التسمُّم لكثرة النفايات في دمهم وخلايا جسمهم .

وتبدو هذه النفايات على صورة طبقـــات من الشحم عند البدينين منهـــم ، أو كميات زائدة من السكر أو تصلب في المفاصل عند المصابـــين بالروماتزم ، مع اضطرابات في الدورة الدموية والقلب والجهاز الهضمي .

أمَّا المخُّ والأعصاب نفسها فمرهقة ومتوترة ومثقلة بسموم الجسم والدَّم .

فكان أول ما عنيتُ به هو تفهيم هؤلاء الناس أنه لا شفاء لهم إذا لم يطردوا من جسمهم تلـك النفايات ، ويحـولوا بين أسباب تكوينها وتراكمها .

فالنظافة الداخلية الكاملة هي الأساس الأول لصحة الجسم كله وسلامته .. » .

فقصّةُ الدكتور هاوزر مع المزدحمين على باب عيادتـه تلخّص بضرورة النظافة الداخلية الشافية .

وإذا ربطنا ذلك بالنص النبوي الديني ندرك لماذا يفرح الصائم بفطره . أعني أن الصيام لـمدة اثنتي عشر ساعة

يعطي جهـــاز الهضم فترة ارتيــاحٍ واستجمامٍ تجعــلُ الإنسان يتناول طعامَ الإفطـــار الخفيفِ براحةٍ واستمتاع تعقبان الفرح ..

قال صديقي : إنْ وراء العبارة النبوية مواسمَ فرحٍ بدت لي وأنت تسردُ القصّة الطّبّية ، ويمكننا أن نتحدّث عنها غداً إن شاء الله .

قلت : إلى اللقاء في مختبر الفرح .. والسلام عليكم .

الفَرَع الرَّابع

الصِّيام جُنَّةُ المجْتمَع وصِحّتهُ

بكـّرتُ في المجيء هـذا الصّباح لأستمعَ إلى خاطراتِ صديقي صادق وهو يقرأ حديثَ الفرح قراءةَ التفتحِ الحديث.. وعرفتُ أن قلبه المنشرح للمعرفة يمدُّه بقدرةٍ على الاستيعاب والتطلع يعرفها أصحابُ القلوب المنشرحة .. كنتُ أفكـّرُ بصديقي هكذا عندما وصَلَ واستغربَ أن أسبقه إلى مكان اللـّقاء .. حيّاني تحيّة الإسلام ، عليه وعليكم السّلام ، وافتتح الكلام بقوله :

« أمين ، إن أمانات ثمينة ، أودعَها الله في قلوبنا وينبغي أن نؤدّيَ الأمانات القلبية محبة ومعرفة .. »

قلتُ : وما مواسمُ الأماناتِ المتفتحة في قلبكَ هـذا الصّباح . ؟

قال : فهمتُ معانيَ جديدةً من حديث الفرحِ النبويّ وأستطيعُ أن أشرح منها ما خبرته بنفسي في الأمسِ .

عدت إلى صحيح مسلمٍ أتملـّى نصَّ الحديث الكامل ، ثمّ نسخته على ورقة صغيرةٍ ، كنتُ أنظر فيهـا كلـّما وجدت

قليلاً من الوقتِ . وجرت حادثةٌ عرفتُ منها عملياً كيف يكونُ « الصّيامُ جُنةٌ » على صعيدٍ اجتماعيٍّ ، بعد أن عرفناه جنة على صعيدٍ فرديٍّ ..

- وأثار صديقي فضولي ، فسألتهُ عن الحادثة الاجتماعية التي وسّعت فهمه لنصّ الحديث النبويّ . فقال :

النصُّ الكامل للحديث الشريف ، هو :

« قال رسول الله (ص) : ، قال اللهُ عزّ وجلّ :

« كلُّ عملِ ابن آدمَ له إلا الصّيام فإنه لي وأنا أجزي به .

« الصيامُ جنةٌ ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يَرْفث ،ولا يَصْخَبْ ، فإن سابّه أحد أو قاتله ، فليقُلْ : إني امروء صائِم » .

« والذي نفسُ محمّدٍ بيده لَخلوف فَمِ الصّائم أطيبُ عند الله يومَ القيامة من ريح المسكِ ..

« وللصّائم فرحتان يفرحُها : إذا أفطرَ فرحَ بفطره . وإذا لقِيَ ربّه فرحَ بصومه .. »

كنتُ أتأملُ النصّ لأكتشف مواسم الفرح الصحية فيه بعد قصّةِ الطبيب وتشديده على أهمية النظافة الداخلية .. كنتُ على هذه الحالة عندما جاءَ رفيقان من رفاقي في العمل يتهجمان عليّ بصورةٍ غريبةٍ ، وشعرتُ بالرغبة في إخراجها من

مكانبي بصورة من العنف تشبه تصرفها . لكنّ الورقة التي لثبتُ عليهـا الحديث تدخلتْ ، إذ أحسست بها ، فنظرت إليهـا ، ثم نظرتُ إلى وجهي رفيقيّ وابتسمتُ لهما ورفعتُ الورقة باتجاهها وقلت : « إني امرؤٌ صائمٌ » ولن أجيبكما بلفظ أو كلامٍ فاحشٍ .. ألستما صائمين ؟

ونظر أحدهما الى الآخر ، ووجَّه إلي الحديث : إنّنـا صائمان ، وصيامنا أثَّرَ علينا فتكلَّمنا بهذه الصورة العصبيّة ، وإنني أعتذرُ باسمي وباسم رفيقي الآخر ..

لكنني قرأت لهما نصّ الحديث ، وشرحت لهما طرفاً من المعاني الخلقيـة التي يفرضها الصيام على الصائم .. وانصرف كل منا الى عمله ، والتقينا في آخر الوقت فبشر كل منا الآخر أنـّه كان أكثر إنتاجاً في يومه هـــذا من سائر الأيام .. وشعرت بسعادةٍ نفسيّةٍ لا تُوصَف بعد هذه الحادثة التي شرحت لي جديداً من حكمة الصِّيام ..

فالصائم لا يفرحُ عند إفطاره في الدُّنيا فحسب ، ولا يفرحُ عند ملاقاة ربّه في الآخرة فحسب .. بل يفرح أفراحاً كثيرةً قبل هاتين الفرحتـــين .. إنـّه يفرح بالصحة التي يؤمّنها له الصيـام ، على صعيد فرديّ ، ويفرح بالتحاب الذي يؤمنه له الصيام على صعيـــدٍ اجتماعيّ .. فحسنُ الخالقِ الذي يفرضهُ

الصيام صحة اجتماعية ، وأظنـــك ستجد فصولاً أخرى من الصحة والسعادة على ضوء تعاليم الحكيم ، وعلى ضوء اختبارك الخاص لهذا النص الكامل ، فهل تشرح لي ما غاب عني ؟

قلت لصديقي :

بدا لي الحديث قسمين : الأول من الحديث القدسي ، فالنبي (ص) يروي عن الله جل جلاله .. والقسم الثاني من الحديث النبوي يشرح القسم الأول ويظهر موقفه منه ..

وفي القسم الأول تظهر صلةُ الصائم بربه ، فالصيـــام لله وهو سر بين العبد وربه ، لذلـــك فجزاءُ الصيام من الله . وحديث هذه العلاقة الروحية بين الصائم وربه يعرفها الصائمون حقاً .. كما تظهر في القسم الأول أيضاً صلات الإنسان بالإنسان على مستويات فردية واجتماعية ، يمكن اختصارها بكلمة واحدة هي الاقتصاد ، إن علم الاقتصاد الحسي والمعنوي يظهر بصورة بهيّة في هذا القسم من الحديث ..

ووسع صديقي عينيه وحدّق بي ، ثم قال :

لم يخطر لي أنـك ستكتشف اقتصاداً في حديث الفرح : فكيف بدا لك ذلك ؟

قلت : فكر أنت بالأمر ، وغداً نتم رحلة الفرح في مختبر الصوم ، إن شاء الله ..

إلى اللقاء .. والسلام عليكم ..

الفـرح الخامس

الصِّيام اقتصاد قريب وادّخار بعيد

سبقني صادقُ هـذا الصّباح إلى مكانِ اللقاء ، وكنتُ أعرفُ أنه سيسبقني ، لأنّ عبـــارة « فكِّرْ أنتَ بالأمر » تنهضُ به إلى مستوىً من تحمُّلِ المسؤوليّة يعرفُ قيمته من يتحمّلون المسؤليات من أصحاب الهمم ..

حييتُ صادقاً ، وأنا أبتسم كمن رأى شيئاً طريفـــاً .. فردّ التحيّة وهـــو يلتفتُ إلى الوراء ليرى إذا كنتُ أبتسمُ لسواه .. فضحكتُ هذه المرّة من تصرُّفه ، وقلت له :

يبدو أنّك لم تكتشف « فنّ الاقتصاد » في حديث الفرح بالصّوم الشريف ..

وتعجّب قائلاً :

بل اكتشفتُ أموراً جميلة وقرأتُ فصولاً من كتابٍ في عِلم الاقتصاد الحديث تلخص نظريات الاقتصاد الجـــديدة .. ووازنتها بإيحاءات الحديث النبويّ الشريف ، وجئت مبكراً لأخبركَ أنني فكرتُ باهتمام بما يتضمَّنه حديث النبيّ العربي (ص) ممّا دعوته « علم الاقتصاد الحسيّ والمعنويّ » . وقـــد

فهمتُ أموراً قريبة وأموراً بعيـــدة ؛ فمن اقتصاد الصيام القريب ، أنه يوفرُ على الصائم وجبة من ثلاث .

وتوفيرُ قيمة الوجبـــة ليس شيئاً إذا قيس بالوقت ، فما يوفره الصائمُ من وقتــه عند الظهيرة أثمنُ الأشياء ، واقتصاد ساعة أو ثلاث ساعات يومياً للتأمّل تعني كثيراً لمن يعرفون نعمة التأمل ، خصوصاً وأن الصّومَ يُساعدُ على إيجـــاد فنّ التفكير ، كما اخبرتني مرّة عن منابع التفكير والأمور الـــتي تُساعدُ على تدفقها ، ومن أهمّها العزلةُ المصحوبة بالصّوم الخفيف .. وهذا ما يؤمنه صيامُ رمضان للصائم ، فهو يستريحُ قبـــل الإفطار وقتـــاً ليسَ بالقليل ، وهو وقتٌ ثمينٌ لأنّ الصائم يقتصد فيه كثيراً من المشاغل وينتظرُ ، وقـــد يكون انتظاره مستلقياً .. والذي يحصلُ أن دماغَه ينصرفُ قليلاً إلى معدته ثمّ لا يلبث أن يحلّق بـه بعيداً في أسباب الجوع ، وفي الجائعين في العالم ، ولماذا لا يُعطى كلُّ ما يكفيه ، وقد تخطرُ له حلولٌ ونظريات لمشكلة الحاجات البشرية وكيفيّة تلبيتها ..

وهذا التفكير البعيدُ يعُيده إلى نفسه التي انطلق منهـــا ، فيضعُ لنفسه منهجاً اقتصادياً يقيه من حاجات الجوع على اختلافها ؛ فيكون صيامه أستاذاً بارعاً في تعليمه فنّ الاقتصاد الحسيّ ، على صعيد المـــال وعلى صعيد الوقت ، لأن الوقت أغلى أنواع المـال ..

أما اقتصادُ الصيام البعيد فتعـــدُ به الفقرتان الأولى والأخيرة من نصّ الحديث :

« كلُ عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به »
هذه الفقرة الأولى من الحديث القدسي ..
« وإذا لقي الصائم ربه فرح بصومه .. »

وهذه الفقرة الأخيرة من الحديث النبوي الشارح للحديث القدسي .

ووجه الاقتصاد الذي يُحققــه الصائمُ ، هو هذا التوفير الكثير عند الله .. فهـــو يصوم لله والله يجزيه أجور صيامه ، ولأن الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين فسيجزلُ الأعطيات للصائم الحق وسيفرح هـــذا الصائم في الآخرة ويغنى أضعاف أضعاف ما فرحه وما ربحه من صيامه في هذه الدُنيا ..

ثمّ بلع ريقه ، وحدّق بي مستأنساً بإصغائي العميق لكل كلمة نطق بها ، وقال لي : أليس ما سمعته مني اكتشافاً لفن الاقتصاد الحسي والمعنـــوي في حديثي الصيام : القدسي والنبويّ ؟

فابتسمتُ له ، وحدّقت بالبعيدِ فالتفت الى الوراء ظاناً أنني أرى غيره .. فضحكتُ من التفاتته وقلت له : أرأيتُ أنك اكتشفت من الحديث قريباً وبعيداً ، ولم تكتشف الوسط بينهما ، ولذلك لا تزال تسرف في التفاتك الى الوراء ، وعليكَ

أن تقتصد من الالتفات وأن تركزَ عينيك إلى الأمــام .. إلى الأمام ..

ضحك صادقٌ وقال :

ماذا تعني؟ أعرف أنك تخبيء لي جديداً من المعرفة .. وهذه طريقتك تعلمني بالإثارة والصمت .. قل لي : ما هي الوظيفة الجديدة التي تطلبها مني للغد ؟

قلت ضاحكاً : مــــا شاء الله .. أنت مبتكر الوظائف ، وتكشف لنفسك أموراً قد لا تخطر لي. ولكنك قرأت الاقتصاد المالي وما يتعلق به في النص النبوي ، حتى التوفير للآخرة بقي فكر تاجر ، فأين الاقتصاد المعنويُّ ؟

أين اقتصاد الطاقة العصبية في الصيام ؟

هل فكرت بهذا ؟

فهزّ صادق رأسه ضاحكاً ، وقــــال : سأفكر بهذا ، وسأخبرك غداً ، إن شاء الله ..

الى اللقاء في مختبر الصوم والفرح .. والسلام عليكم .

الفرح السادس

طاقة تتجه إلى الأمام بثقة واحترام

سبقت ُ صادقاً هذا الصباح لأوفر له مادة إثارة عصبيّة ، لعلّ ذلك يَشرح له جنبات جديدة من حديث الفرح ، ومن فرح الصائم .. وجاء صادقٌ فحيّاني ، وسألني بنوع من الجدّ يُشبه مَن أخذَ له شيء خاص به : لماذا سبقتني بالمجيء ؟

وأجبته مبتسماً لأنني وجدت لديّ فائضاً من الطاقة العصبية حملني إلى البكور بنشاط ، فجئتُ ، وتأملت في الصباح ، وفي تلونات السماء قبيل الشروق ، وفي امتداد الصحراء تحتَ عين الشمس ..

فابتسم صادق ، ولم يلتفت إلى الوراء ، وقال لي :
« يبدو أنك مُدخرٌ خزّاناً عظيماً منَ الطاقة العصبية ، ولذلك تنوي أن تدفقه اليوم شعراً وفلسفة ، وأن تمنعني من الكلام ، كأنك تظن أنني لم أكتشف خزّان الادخار العصبي في حديث الفرح .. »

ابتسمتُ لغضب ِ صديقي الخفيف ، وحدّقتُ في البعيد ، وقلت :

بل جئتُ مبكراً لأكونَ مستعداً لسماعك من لحظة مجيئك، فدفق مطرَ الفرح من مدخرّات اختبارك للصيام . فعادت ملامح الرّضى إلى وجهه ، وحدّقَ في عينيّ مؤكــداً أنه في قمّة التركيز ، وقال :

أولاً ، لن ألتفتَ إلى الوراء ، وسأقتصدُ الناسَ الآخرينَ عندما أكون في حديثٍ جادٍّ معك .. أو مع غيرك .. وهذا اقتصاد للطاقـــة العصبيّة التي كانت ستصرفُ في اتجاهات ورائية أخرى .. وسأوجهُها منذ اليوم إلى الأمام لأفهمَ مـــا يُقالُ ولأفهمَ ما أقول .. وأعتقد أن هذا النوع من الاقتصاد يوفرُ لي أمرين : الأول هو الثقة بالنفس ، إذ أعرف أن محدّثي يحترمني بصورة لا يشتتُ بها إلى غيري إلا عند الضرورة .. والثاني هو الاحترام للآخر، إذ ينبغي أن أبادله الاهتمام والثقة ، فما دام معي ينبغي أن أظلَّ معه .. وثانياً ، فطنتُ لما سميته الوسطَ بين القريب والبعيـــد .. وهو بالفعل وسط النصّ النبويّ المتعلق بالطاقة العصبية وكيفية اقتصادها بالصيام

عرفتُ أنك توجه تفكيري إلى اشتمال الحديث على قضايا الفكر الكبرى .. الله ، والإنسان ، والعالم ..

وقد انتبهت بالأمس إلى قضايا الاقتصاد الدنيـــوي للمال والوقت فبدأت بأشياء العالم ، ثم انتبهتُ إلى ما سميناه الادخار المفرح للصائم عنـد الله .. وكنت أظن ان هذا الانتباه يكفي

لأن الإنسان موجودٌ في الأمرين : اقتصاد الصيام للدنيا ، واقتصاد الصوم للآخرة ..

غير أن توجيهك انتباهي الى وسط الحديث ، وهو العبارة: « الصيام جنة ؛ فإذا كان يومُ صيام أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ؛ فإن سابّه أحدٌ أو قاتله ، فليقل : إني امرؤٌ صائم .. »

أعتقدُ أنك تصدقني عندما أؤكدُ لك ، ان عبارات النهي بدت لي جديدة كأنني لا أعرفها ، مع أنني حفظت نصَّ الحديث عن ظهر قلب .؟

قلتُ : ولم لا أصدقك وأنت معنى لاسمك ، صادق ؟ إنني أثق بهذه الملاحظة ، وأتمنى ان يفطن لها الجميع في قضايا الصيام وغيرها من قضايا الحياة ؛ لأن الكثيرين منا يحفظون النصوص ويحفظونها على حرفٍ واحدٍ ، ولا يجرّبون استثمار الخبرات الأخرى في نصوص تراثنا العظيم .. المهم ماذا بدا لك من اقتصاد الطاقة العصبية في عبارات النهي النبوية :

فلا يَرفثُ . ولا يصخبْ ولا يسب . ولا يقاتلْ ..
حركَ صادق رأسه ، وهمهم ، كمن يعرف كثيراً ، ويحبُّ ما يعرفه ، ويندهشُ له ، وقال :

الصائمُ لا يرفثُ في وقت الصوم . والرفث معناه مقاربة النساء ومعاشرتهن ؛ وهو هنا يعني فحش القول وما لا يحسن

التصريح به من قولٍ أو عمل ..

والانتهاءُ عن الرَّفث اقتصاد لطاقة الجسد الحيوية ؛ واقتصادٌ للقبيح من الأقوالِ والأفعال ..

والصائمُ لا يَصخبَ ، أي لا يلغطُ ، واللغطُ كلامٌ لا معنى له ولا فائدة منه ، والامتناع عنه اقتصاد للطاقة العصبية التي تصرف فيه .

والصائم لا يسبُّ ، والسِّباب كلامٌ مصحوب بالغضب والكراهية والحقد ، غالباً ، وكلتُها نيرانٌ تأكلُ الطاقة العصبية ؛ والمقاتلة مثل السباب في صرف الأعصاب إذا لم تكنْ جهاداً في سبيل الله كما قاتلَ الصائمون في حرب رمضان المشرّفة .

أليس هذا ما تريدني أن أفهمَه من اقتصاد الصائم ، عصبيّاً ؟

قلتُ لصادق :

هنيئاً لك ، فكأنما كنتَ معي في مختبر الحكيم وهو يُجري تفاعلات الفرح الصيامي .. لكنَّ الحكيم كان يُجري اختباراً صومياً عاماً ، يعتبره الاختبار الحيُّ ..

ورفعَ صديقي حاجبيه ، وقال :

وماذا يَعني الاختبارَ الحيُّ عند الصائم ؟

أليس الصّيام العمليُّ من الشروق إلى الغروب صياماً حيّاً ؟

قلتُ : هذا صحيح على مستوى اليوم . لكن الحكيم كان يُحبُّ أن يعرف **كيف يتفتح الصيام خلال أسبوع في نفس الصائم سعادة وفي جسده صحة** .. كأنما يريد اكتشاف ما جناه الصائم من صيامه في أسبوع ..

ضحك صادق ، وقال :

ما أعمق منهج هذا الحكيم . ألا يذكرنا بالله في كل خطوة من خطوات تفكيره ، إنه يبصّرنا بفضل الله الواسع حتى في عدد الأيام التي يريدها دورة صيام أولى ، ويريدُنا أن نقرأ آثار صيامنا على كتاب الجسد صحة وعلى كتاب النفس سعادة .. لكنه يجعل اليوم السابع يوم راحة أم يوم جهد أكبر ؟

ضحكتُ ، وقلت : نرى ذلك في اليوم السابع ، إن شاء الله ...

إلى اللقاء .. والسلام عليكم ..

الفرح السابع

ما يتفتح في الجسد والنفس خلال أسبوع صوم ؟

وجدتُ صادقاً صباح اليوم السابع يروحُ ويجيء ، وليس معه ورقة أو كتاب .. حييته فردّ التحية ولم يقل شيئاً ، ففهمتُ أن قراءة كتابي الجسد والنفس دفعة واحدة ليس من الأمور السهلة ، وخصوصاً إذا كان الإنسان سيقرأ جسده ونفسه وسيلاحظ تغيراتهما وأحوالهما في الأسبوع الأول من شهر الصيام ... ولكنني كنت أعرف قدرة صديقي على التكيف والارتفاع فوق المتاعب والمصاعب إذا لمسته كهرباء التوجيه والإثارة ..

نظرت الى وجه صادق مستفسراً ، وقلتُ :

هل زاد وزنك أم نقص في ستة أيام من الصوم ؟

وضحك صادق كأنما أزيلت عن صدره اثقال كان يعاني منها .. ثم قال :

« لقد فكرت بكتاب الجسد ، وماذا طرأ عليه في ستة أيام من الصوم ، وتعمقت كثيراً في التفكير لأعرف التحولات ، لكن أمر الوزن البسيط لم يخطر لي ببال ، مع أنه أقرب الوسائل

لإعطاء فكرة عن أثر الصيام الجسدي ..

فضحكت وضحك ، ثم قلت له : وما هي نتائج التعمق في تفكيرك ، فالبساطة من شأن السطحيين .. فرفض هـذا التعليق ، وقال :

إن البساطة غاية ما يسعى إليه المتعمقون ، ولكن كيف يصلون ؟ تلك هي المشكلة .

لقد جربتُ التأمل في أحاديثنا الماضية ، وحاولت تذكر التفاصيل من جهة ، وربطها بالتغييرات الصحية والسعادية من جهة أخرى .. فكانت الملاحظة الأولى :

تعجبت كيف قضينا أسبوعاً في قراءة حديث نبوي واحد ، هو ما سميناه حديث الفرح .. وظننت انه كان بالإمكان قراءة ستة أحاديث ، لكن التأمل في اختبارات كل يوم على حدة جعلني أصل إلى نتيجـة معاكسة وهي ضرورة قضاء ستة أيام لتمثل الجزء الذي كنا نختبره بيوم واحد .. لقد اكتشفت ان اختبار النص النبوي أعمق بكثير من معرفته وقراءته بصورة سريعة من الذاكرة .. أتعرف أنني توصلتُ إلى نتيجة أظنهـا أكيدة ، وهي : ضرورة الهضم الثقـافي . أعني أن التراكات الطعامية التي تشلُّ عمل جهـاز الهضم وتسمّمُ الدّم وتحدثُ ما رويته عن الدكتور هاوزر من الأمراض، ليست بأخطر من التراكات الثقافيـة التي لا يهضمها صاحبُها ولا يعرف كيف يتدبرها .. ألا ترى أننا بحاجة إلى نظافة داخلية على مستوى

الثقافة كما نحن بحاجـــة إلى النظافة الداخلية على مستوى الصحـة ؟

أمّا الملاحظة الثانية فوليدة التأمّل بحديث الفرح الصومي.. لقد شعرتُ أن الصّيامَ الذي يُعلمُ الناس الفطامَ عن الشراب والطعام، ان هو إلا نوعٌ من الاحترام للإنسان، إذ يرفعـــه درجة فوق نفسه في طريق النشاء والنضج.. والدليلُ على ذلك أن الصّغار والمرضى لا يصومون.. فالصّائم يُعطى ثقـــةً ودرجة تفوّق، إذ هو في مستوى من النضج لمعاناة هـــذه الرياضة.. ومن طرفٍ آخرَ فإنّ فطامَ الصبيّ يضعُه على عتبةِ مستقبل النضوج والارتفاع على سلم الحياة.. وكذلك الصيامُ يُخبّىء للصائم هذه المعاني، لكنني لم أحط من مستقبل الصائم بغير الفرحِ الذي تعرّفناه في أيامنا الماضية ؛

عرفتُ في اليوم الأول : جنــةِ الفرح وفصول السّعادة في الصيام والصوم، أو ما يسميه النبيُّ العربيُّ (ص) فرحتين للصــائم .

وعرفت في اليوم الثاني : أن الصيام منهج صِحّة وشباب دائم ؛ أو هو جُنة الصائم في التعبير النبويّ .

وعرفت في اليوم الثالث كيف يشرح الحكيم العصريُّ فرح الصــائم بصومه فيفجر فجرَ الحديث النبوي وجوهر النصّ الدينيّ الذي وضِع لإسعاد الإنسان في كلّ زمانٍ ومكان..

وعرفت في اليوم الرّابع كيف يكون الصيام جنة المجتمع وصحة عامة للأمة ، عرفت ذلك عملياً عندما التزمت عبارة النبيّ : « إني امرؤٌ صائم ».

وعرفت في اليوم الخامس أن الصيامَ اقتصادٌ قريب وادّخارٌ بعيد ؛ أو هو اختزال وجبة من ثلاثٍ واستقلال وقتٍ كان يُصرف لها وعليها .. وهو أمل بالمستقبل البعيد عند الله ، كما في عبارة الحديث ..

وعرفت في اليوم السادس انّ الصيامَ اقتصادٌ لطاقة الانسان العصبيّة وتوجيه لها .. توجيه بعضُها كان انتصاراً المسلمين في رمضان ..

هذه ملامح من الاختبار الحيّ فما هي ملامح اختبارك أنت يا أمين ؟

قلت لصادق : إنني أتأمّل في اليوم السابع وأقتصد طاقتي العصبيّة فلا أتكلم .

لذلك أحدّثك غداً إن شاء الله .

إلى اللقاء .. والسلام عليكم .

الفَرَح الثامن

يقدّرني فيمنحني ثقةً وَوُجودًا

ومرَّ اليومُ السابعَ من الصّيام ، وأنا أحاول الامتناعَ عن الكلام إلا عند الضرورة ، وكنت في ذلك الوقتِ أتأمل داخلياً وأقرأ كتاب ذاتي الجسدية وكتاب ذاتي النفسيّة .. فماذا كنت أرى وأحسُّ ؟

كنت أرى أن نفسي بركة ضوء ، وأن آلافَ الأشعّـــة تتدفقُ إليها من اتجاهاتٍ مختلفةٍ ..

وكنتُ أحسُّ أن موسيقى هـذا النّور ترفعُني بأجنحة ناعمـــة قوية فأرى من آيات الله في آفاق نفسي وفي آفاق العـالم ..

شعرتُ بحماسة مدهشة للعمل في النصف الثاني من النهار .. أحسست أنَّ قوّة جسدي تنهض من كسلها ، وتسرح بي في رغبة صادقة لإبداع شيء يُحقق وجودي الحقيقيَّ في هـــذا العـالم ..

ولما تبينتُ سرَّ هـــذه القوّة المتولدة من امتناعي عن

الطّعام والكلام رأيتُ المنبعَ الحقيقيَّ الصّافي لهــذه التولـّدات :

فهمتُ الحديثَ القدسيَّ وهو تتفتحُ كلماته دعاء لي لأكون صائماً .. وما معنى أن أكون صائماً على ضوء هذه التفتحات النفسية المنشرحة في صدري ؟

معنى ذلك أن الله يرفعُ سويتي لإكون عطاء .

فيقول عزَّ وجلَّ :

« كلُّ عمَلِ ابن آدَم له إلاّ الصّيام فإنــه لي ، وأنا أجزي به .. »

شعرتُ من جديد أن مواسمَ الفرح تتفتحُ في فصول السعادة من هذه الكلمات .. شعرت أن التفتحَ لم يَعُدْ خارجياً ، بل صار داخلياً ..

إنّني امرؤ صائمٌ ، وهذا يَعني أنَّ صيامي للهِ . ومــا أسعدني وأنا أقدّم للهِ شيئاً .. إن اللهَ يَعتبر الصيام له من جميع أعمالي ..

أحسستُ أن اللهَ يُمدُّني بحماسة الرَّغبة ، ويَمنحني ثقةً لا حدود لها ؛ لأنه وهو القــادر على كلِّ شيء ؛ الغني عن كلِّ شيء يَعتبر صيامي له ؛ أي يأخذَ منّي شيئاً له ..
إذاً ، أنا قدرةُ عطاء وإمكانيــة رجاء .. أنا الإنسانُ

الصائم يحسب عند الله صيامي له ، وتترك لي أعمالي الأخرى ..

إن هذا الإحساس بثناء الله على صيامي عبّأ نفسي بقوىً منها الرغبة في العمل لأكون ذا وجودٍ حقيقي يعتبره الله له في كل مجال من مجالات حياتي ، لا في مجال الصيام وحسب ؛

وهذا الإحساس أشعرني بكرم الله عليَّ ، فهو بتفتح معنى قوله القدسي في نفسي أطعمني ثقــة بنفسي ؛ وسقاني إيماناً بقدرتي ؛ وأورق فصول نفسي وأزهرهــا وأثمرها بآلافٍ من المشاعر العليا التي جعلتني وجـوداً يجاهد للتحقق على مستوى أعلى ..

أحسست أنني أقوى عندما أثنى الله على صيامي وجعلني أعطي ، وشعرتُ أن للروح غــذاءً وشراباً يقوّيانها كما للجسد غذاءً وشراباً .. وأدركت معنى هذه القوّة التي تفتحت بي من ثنــاء الله على عملي ..

ولمّا كانت الروح تحرِّك الجسد وتقيمه فقد انتشرت نخوتها ومروءتها في جسدي كما تسطع الشمس في السماء فتطردُ من العالم كلَّ ظلام ..

أحسست أنني في حالة نفسيّة منـيرة ، وأن نور النفس أضاء للجسد سبيله ..

وانتبهت لنصيب الجسد من ثناء الله عليه وتقديره لطيبــه

وجماله ، فرأيت تفتحات الواسم من قسم النبيء (ص) القائل :

« والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وطاف خاطري في عالم الجمال وما يحدثه الاطباء والمختصون عن الجمال الجذاب .. وبدا لي ان ألطف ما يجذب الإنسان هو الطيب ، لذلك تصرف الأموال الطائلة في العالم على العطور والزهور ، وحديث ذلك يطول .. لكن الالتفات الى خلوف فم الصائم ، أي إلى تغير رائحة فمه ، يلفت النظر فعلاً ؛ لأنها لفتة تربوية مشجعة تجعل الصائم ينتقي الشراب والطعام انتقاءً من شراب الورد وغيره ، ليظل في فترة الصيام أطيب نفساً ؛ ما دام صيامه لله ونفسه يحسب عند الله أطيب من رائحة المسك ..

هذا ما حدثت به صديقي ، في صباح اليوم الثامن ، عن اختباري الحي ومِلامحه التي سألني عنها . ووعدته بملمح آخر غداً ، إن شاء الله .. إلى اللقاء .

والسلام عليكم

الفَرَع التَاسِع

شِخصيَّة الصَّبر ونشِيد عَالم الحَق

إنَّ التحدثَ عن الصيام شيء ، وإن الصيام شيء آخرُ ..
كذلك يختلفُ الحديثُ عن الفرح في الصيام من الفرح ذاته ..

رغبت بالتفكير العميق والتأمُّل الدَّقيق في اللذائذ النفسية التي تسْجَنُ نفسي بطاقات جديد من الصّبر والتحمّل والرّغبة في عمل شيء جديد أحقق به إبداعاً فأحقق وجودي

فكّرتُ أن الصّبرَ كلمة صغيرة ، لكنَّ للصّبر شخصيّة أقوى بكثير ممـا يحسبهُ المؤرخون لشخصيات التاريخ المشهورة ..

تصوّرتُ الصّبرُ قنـاةً بين بحرين : البحر الأول بحر الواقع الضيق .. والبحر الثاني بحر المثال الواسع ..

والصبر هذه القناة التي تصِل الواقع بالمثال ، وترفع الصّابر من سجون الضيق إلى آفاق السّعة ..

والصّيام تدريبٌ حكيمٌ على الصّبر ..
لذلك سمّى رسول اللهِ (ص) شهر رمضان «شهر الصّبر»..

وهذه التسمية أو اللقب الجديد لشهر رمضان يُعطيه بُعداً جديداً أعمقَ من الصَّبر الظاهر .. هو شهر التبصُّر أيضاً .. والتبصر الرؤية العينيّة والرؤية البصيريّة ، فالبصر والبصيرة تصفوان في شهر الصَّبر ..

وحروف كلمة الصَّبر تختزن فيها هذه المعاني ، فحروفها هي حروف بصَرَ وبصُرَ ..

وهذه الإشارة تدريبٌ آخر للإنسان .. فالإنسان الصَّائمُ في شهر الصَّبر ، ينبغي أن يكون بصيراً متبصِّراً ..

وتبصَّرتُ في كتاب نفسي وأنا أقلّبه ساعةً ساعةً في شهر الصَّبر ، فرأيت معاني ومعاني ، وسمعت همسَ أسرار وأسرارٍ ، كلُّها يُشجّعني لأتعلمَ قراءة « شهر الصَّبر » ، أي لأفهمَ نفسي والعالم بصورةٍ أعمقَ لأن ذلك يزيدني قرْباً إلى ربِّ نفسي وربِّ العالم ..

وعبرتُ من قناةِ الصَّبر إلى مُحيطِ الحقِّ .. ولاحتْ لي الحكمة من تلقيب رمضان بشهر القرآن ..

فرمضان شهر القرآن ، وشهر الصَّبر .. وماذا في القرآن ؟ سؤالُ يقودُ إلى معرفة عصر الإنسان ، في أيِّ عصر كان ..

وبدت لي أفراحُ الأرباح ، وأرباح الأفراح ، وأنا أوازن بين « الصبر والقرآن » وأداعب بشفقي روحي شفاه الكلمات في سورة العصر .. وما أدراك ماسورة العصر ؟

عالمان تصوّرهما الصورةُ ، ومواسم أشواك ومواسم وردٍ كل منها :

وأحدثك عن تجليات عـــالم الأفراح وتفتحات مواسمه في نفسي عصر يومٍ من أيام الصوم :

قوافلُ وقوافلُ يحدو أصحابها حداء الفرح ؛ إنهم يحملون أرباح أعمالهم الصالحات ، وقد عادوا حديثاً من محيط الحق .. إنها قوافل الإنسان الصائم عائداً من عالم يُسميه في حدائـــه عالم الحقّ :

« ما أوسع عالم الحق
إنه عالم الحدية والحب
إن الحق محيط يحيط بكل الخيرات
أيُّها البحّار في العالم
أيُّها المفكرون
أيها الطامحون إلى فرح الأرباح
سافروا الى محيط الحق
فهو طريق الصّبر
« فتواصوا بالصّبر »
وإذا سألتم عن طريق الصّبر
فإنه شهرُ الصبر ، شهر القرآن ،
شهر الصوم .. »

أحسست قوافل الأفراح تعـــبرُ ممرات نفسي ، وأنا أقلب صفحاتها عصر يـــوم من أيام الصوم .. شعرت أرباح الأفراح تنتشر في أعضاء جسدي حيوية وشباباً ونشاطاً ..

أأقرأ لك أكثر من كتاب الجسد وكتاب النفس ؟

إن الصيام والصوم يكتبـان عليها اناشيد للقوة والشباب الدائم .. إنهما يكتبان عليها كتباً للوقت المقدس ..

إنَّ فرحَ الجسد وسعادة النفس يدفقهما عليها الصيام ، من قناة الصَّبر في شهر القرآن .. وإنني أنوي تأمل القرآن مجدَّداً لأكتشف به مواسم الفرح وفرح الصائم ..

هكذا حدثني صديقي،صباح اليوم التاسع منشهر الصَّبر ؛ وهذا ملمح من اختباره الحي لفريضة الصيام .. وقد اتفقنا على مرحلة جديدة تكشف ملمحاً جديداً من فرح الصائم،

غداً إن شاء الله . الى اللقاء .. والسلام عليكم .

الفرح العاشر

ما الفروق بين الصِّيام والصَّوم ؟

وجدت صادقاً ينتظرني صباح اليوم العاشر.. حييته ، وردّ التحيّة كمن يُحبّ أن يمنح نفسه كلها في تحيته..

ورأيت الملاحظة موضوعاً للبدء ، فقلت:

صادق ، ماذا بك؟ إن حديثك بالأمس عن «شهر الصّيد» وتحيتك اليوم بهذا الطهر تثيران الإعجابَ والتقدير فعلاً..

وابتسمَ لي صادق ، ولم يُحـــدق في عيني كعادته ، بل أسبل جفنيه العلويين قليلاً فوق جفنيه السفليين وقال بحياء يكاد يزهرُ صور الايمان التي قيل فيها: الحياء شعبةٌ من الإيمان.. قال صادق من وراء نظرته الصادقة الحيية:

أنا أشدّ إعجاباً وتقديراً بمنهج الحكيم الذي تزقني حبات حكمه كما تزقّ أُماتُ الطيور فراخهـــا ، لتقوى على الطيران في آفاق الفضاء..

إنّ منهج الحكيم الذي تتحدث عنـــه هو الذي نقلني من ممارسة الكلمة إلى ممارسة معناها.. وهذه النقلة جعلتني أرتفع عالياً فوق وديان نفسي واكتشف قواهـــا ، وقوى جسدي

أيضاً .. لذلك احييك بحرارة الايمـــان المحب .. ولذلك اعتبرت شهر الصّبر اكتشافـــاً جديداً لقارات من الفرح يعرفها الصائم حقـاً في جسده ونفسه .. ألم أقلْ لك : إن الصيام والصوم يكتبـان على جسدي ونفسي أناشيد للقـوة والشباب الدائم ..؟ إنهما يكتبان عليهما كتباً للوقت المقدس .. وقد اسمعتك من أناشيد الصيام : نشيد عالم الحق ..

نظرت إلى وجه صديقي ، وتأملت في حركاته ، ونبرات صوته ، كان يتكلم كما تتفتحُ ورودٌ في حديقة الصباح .. إن كلماته تفتحات نفسه ، لها طيب النفس الزكية التي صفت من النفاق والرياء والخبث.. إنها زهور تبوح بعطورها ..وفكرت بهذه الصورة التي ترتسم له في نفسي ، أأبوح له بها فيحسبني أشدد على فضائل المنهج الذي أثرته لأتباعه في الصيام ، وهـو منهج الحكيم في الاختبار الحي ، يوميـاً واسبوعياً ، لمواسم الفرح التي يمنحهـا الصيام للصائم .. لم اشأ ان اذكر له ذلك ، لمعرفتي بإيمانه وصدق تعبيره وحيائه من المدح ، وهو في وضعه الروحي الصافي هذا .. واكتفيت بالقول :

صادق ، إنّنا نستعملُ كلمتي الصّيام والصّوم ، منذ بدأنا لقاءات الصباح في شهر الصّبر ، وإنـــك استعملتها بصورةٍ جديدةٍ عندما قلت : « إن الصيامَ والصّوم يكتبان على الجسد والنفس أناشيدَ للقوة والشباب الدائم ..

« إنهما يكتبان عليهما كُتُباً للوقتِ المقدّس .. »

فهل فكّرتَ بالفرقِ الدّقيق بين هاتين اللفظتين : الصيّام

والصّوم ؟ وهل اكتشفت دورهما في صِحّةِ الجسد وسعادة النّفس ..؟

وقال صادق :

لم أفكرْ طويلاً بالفرق بين الكلمتين ، وإنني استعملهما بمعنىً واحد ، وهما مصدران لفعلٍ واحد . يقولون في معجمات اللغة :

« صام يصوم صياماً وصوماً : أمسكَ عن الطعام والشراب في اوقاتٍ معلومة ؛ فهو صائِمٌ وهي صائمةٌ . والجمع صائمون وصائمات . وشهر الصّوم رمضان .. هذا كلُّ ما قرأته في معجم الألفاظ القرآنية ، وسواء من المعجمات اللغوية .. ولم ألمحْ تفريقاً واضحاً بين الكلمتين : الصّيام والصّوم .. فهللديك إيضاحٌ يُظهر الفرق بينهما ؟

وابتسمت لصادقَ قائلاً :

إذا كان لديكَ فائضٌ منَ الوقت المقدّسِ الذي تذكره في آناشيد الشّباب الدئم فإننّا ننفذ رغبتكَ في تأمُّل آيات الصّوم تأمّلاً عميقاً يكشف لنا الفروق بين الصّيام والصّوم ، وقراءة الحكيم لكلٍّ منها في كتاب الجسد وكتاب النّفس .. وأبدى صادقٌ استعداده لتنفيذ منهج التأمل الاختباري لايات الصّوم ، لكنه استعاد نظراته العميقة وحدّق بي قائلاً :

ألا يمكن أن تُعطيني مفتاحَ التفريقِ لأدخل بيت المميز

بين الصّيام والصّوم ، وأحضّرَ لكَ آيات الصّيام كلها ؟

قلت : يا صديقي إنّ القرآن الكريم يَعرض الصّيامَ مرتبطاً بالطعام والشراب والإمساك عنهما .. يَعرض الصّوم مرتبطاً بالكلام والإمساك عنه مع إمكان تناول الطّعام والشراب ..

واستغرب صادق ذلك قائلاً : وكيف يمكن تناول الطعام والشراب في حالة الصّوم ؟

قلت : هذا ما سنتبينه غداً إن شاء الله ..

إلى اللقاء .. والسلام عليكم

الفرع الحادي عشر

منهج الاتزان بين المزح والجد

وجدتُ صادقاً ، صباح اليوم الحادي عشر ، يزرع المكان جيئةً وذهاباً.. كان كطائرٍ يستخفه الفرح صباح يوم ربيعي ، فيقفز من غصنٍ إلى غصنٍ.. أو كان كنسمة تهب مع الشروق وتدخل حديقة ورود متنوعة ، فتقفز وتمرح بين الورود جميعاً ، لا تعرف أين تستقرُّ..

أدركت أن لدى صديقي كشوفاً جديدة من فرح الصائم ، وأنه لا يعرف من أين يبدأ في عرض اكتشافاته . وراودتني فكرتان : الأولى ، مازحة ، وهي محاولة عرقلية لأصدمه بما لم يكن ينتظر من معرفة... والثانية ،جادّة ، وهي مساعدته في البـــدء السويّ ، ومساعدته ليصعدَ السلمَ في عرضِ أفكاره درجة درجَةً..

وخجلت ، بيني وبين نفسي ، من الفكرة الأولى.. لماذا أريد ممازحةصديقي بما يفسد عليه ما يحبه ويشجعه لتحقيق ذاته العارفة.. فطلبت إلى الفكرة المازحة أن تخرج من نفسي ، ولما تردَّدت بالخروج وحاولت إغرائي بالبقاء.. دفعتُها حتى باب التفكير ، وطردتهـــا من نفسي.. فخرجَتْ متعثرة ، ومشت ببطء ،

وهي تتلفّت الى الوراء ، مضرجةً بالغضب والإغراء معاً .

ولمّا لم يبق في نفسي إلا الفكرة الجـادّة المحبة ، شعرت باتزانٍ كمن يسَير على صراطٍ مستقيم ، لا تتجاذبه التواءات الطريق وانحرافات الالتفات .. وسرت نحو صديقي بهدوء .. وتوقفت قبل الوصول .. وحييته كمن ينشد الشعر بابتهاج :

صباح النور يا صادق ..

والتفت نحوي بلهفة من يفاجأ بمن كان ينتظر .. وردّ التحية بمثلها من الشاعرية والبهجة ، واستمر بالحديث عن فرح الصائم بالصيام والصوم ، فقال :

صباح الخير والنعمى أمين .

أمانات من الأفراح عندي .

قضيت الوقت بالتفكير في معنى الصيام وفي معاني الصوم ، وكشفت الفرق بينهما .. وعرفت كيف يكون الإنسان في صوم ويأكل ويشرب مع ذلك ..

فأبديت استغرابي ، وقلت :

كيف يكون ذلك يا صادق ؟

ضحك لاستغرابي ، وقال :

جمعت الآيات التي تذكر الصيام والصّوم ، فوجدتها موزعة في ستٍّ من سور القرآن الكريم ، هي حسب ورودهـا في

ترتيب القرآن : البقرة ، والنساء ، والمائدة ، ومريم ، والأحزاب ، والمجادلة ..

وقاطعت صا قاً بالقول :

ذكرت ورودها حسب ترتيب السور في القرآن الكريم ، وهل هناك ترتيب آخر لسور القرآن ؟

وأجابني :

أنت تعرف أن للسور ترتيب نزول ، وبحسب النزول تكون السور التي ذكرت الصّيام والصّوم بالترتيب الزمنى ،هي: مريم ، البقرة ، الأحزاب ، النساء ، المجادلة ، المائدة ..

قلت : وهل استعنت بالترتيب الزمني لمعرفة الفرق بين الصّيام والصّوم ؟

قال : أخذت منك المفتاح المميّز ودخلت بيوت السّور الصياميّة والصوميّة ، وتوقفت في غرفات الآيات التي ذكرت به اللفظتان ، ثمّ رتبت ذلك زمنياً ، فوجدت الصوم يذكر أولاً ، وكما قلت : فإن الصّوم يرتبط بالكلام ، والمتأمل في سورة مريم ، يكتشفُ أبعاداً تربوية للصّوم ، ويملأه الاكتشاف فرحاً لأنه يشعرُ أنّ صومه يُصقلُه صقلاً تصفو معه نفسه وتُصبح مرآة صافية تلتقِط من أشعّة فضل اللهِ كلماتٍ وانشراحاً يُفرحه ويُسعِده ، بل ويُسعد الدنيا به ..

قلت لصادق : إنّك تبتعد في تعبيرك إلى أسرارك ولا

تبوح لنا بالتفصيل عما نريده . كيف يكون الصائم عن الكلام مُفطراً على الطعام والشّراب ؟

وابتسمَ صادق ، قائلا :

هذا لا يعني أن تأكلُ وتشربَ في أيام رمضان .. الصّوم يا صديقي ليس مقصوراً على رمضان ، بل هو واجبٌ في كل أيّام العمر ولياليه .. هذه فريضةٌ إنسانية أخرى .. يفترضُها الله على الإنسان الذي يُريـــد ان يكون إنساناً حقاً ، فيأكل ويشرب ويقرّ عيناً بمباهج الطعـــام والشراب ، ولكنه يحفظ لسانه فلا يُجديه الاّ بما ينفع الناسَ ويرفعُه هو لمستوى أعلى..

قلت : يا صادق . أنتَ تفتح لفرح الصّائم ، في تأملاتك ، آفاق رياضةٍ تمنحُ الشباب الدائم للإنسانية .. وتغيّرت ملامح صادق وقال :

دائماً دائمـــاً تفاجئني بطريقتك في الفهم . أين شباب الإنسانيّة الدائم في كلامي ..

قلت : غداً نرى إن شاء الله . إلى اللقاء .

السلام عليكم .

الفَرع الثاني عَشَر

معيارية الرّوح الكلّي في القرآن

سبقت صادقاً هذا الصّباح ، وفكرت بكيفيّة أحدّد له بوضوح ما بين الصّيام والصّوم ، وما بين الفرد والجماعة من صلات .. وأجرّب تفتيح شباب الفرد من الصيام ، وتفتيحَ شباب الإنسانيّة من الصوم ..

وقطع عليّ سلسلة الترتيب مجيء صادق ، فحيّاني ، وبدأ بما أسعفني على تنفيذ الخطة في تفتيح الشبابين من فهمه هو ، قال :

فكّرت بتفسيرك لتأمّلاتي في آيات الصوم ، وأنها تفتح الأفاق لشباب دائم تحياه الإنسانية .. ودَهِشت في البداية للأمر ، كيف تفهم من كلامي أكثر ممّا أفهمه .. هذه حلقة السرّ المفقودة في منهجك ، عفواً في منهج الحكيم الذي تحاول اختباره الحيّ .. ثمّ زال عجبي عندما استعنت بالتأمل من جديد ، في معاني النصّ القرآنيّ ..

فالقرآن يذكرُ الصيام عن الطعام والشراب ، وقد رأينا كيف يكون الصّيام منهجاً لشباب فرديّ دائم ، على مستوى

صحة الجسد وسعادة النفس ..

وفكّرتُ أنّ كلّ أمّة تتكوّن من أفراد وإذا كان كل فرد من افراد الأمة يحيا الشباب الدائم ، فإن الأمة تعيش عبر أفرادها شباباً دائماً .. وإذا كانت الإنسانيّة تتألف من مجموعة من الأمم فإن شباب الأمم يحقّق شباب الإنسانية ..

تصوّرت أن هذا ما تعنيه أنت بملاحظتك ؛ لأن الصوم فريضة شاملة تنظمُ علاقات الناس ببعضهم ، بينما ينظمُ الصّيام علاقة النفس بالجسد ، على مستوى فرديّ خاص .. فهل توافق على تصوُّراتي ؟

وهل تدلـُّني إلى كيفية التفكير بالصوم من آياتِ القرآنِ الكريم ، على المستوى الصحيّ العام للإنسانية كلها ؟

قلتُ لصديقي :

إنك مُوفقٌ بتصوراتك ، وليس المهمُ أن أوافق عليها ، بل الأهمُ أن تكون أنت منسجماً معها ..

أمّا كيفية الفتكير بالصوم القرآني على مستوى الجماعة الإنسانية ، فتتطلّب رياضة وتأملاً واعين للروح القرآنيّ .. وانّني أمثل لك على الأمر :

وردت كلمة الصّوم في سورة مريم ، عند ما وجه الخطاب للأم العذراء ، بالآية السادسة والعشرين :

« فكُلي واشربي وقرّي عيناً
فإمّا تَرينَّ من البشر أحداً ، فقولي :
أنيّ نذرتُ للرّحمن صوماً فلن
أكلمَ اليوم إنسِيّاً .. »

فالصوم هنا يعني الصّمت عن الكلام ؛ لأنّ الآية تأمرُ مريمَ بتناول الطعام والشراب والاستمتاع بمباهج الكون ؛ ولكنها تأمرها بالصوم ، في الوقت نفسه ، وتفسّرُ لها كيفيته الجديدة ؛ فالصوم امتناع عن كلام النـاس ، بناء على نذر للرحمن ..

والنذر يَعني مـا يوجبُه المرء على نفسه من صدقة أو عبـادةٍ ..

والعبادة توجب على المؤمن المتعبّد أول مـا تـُوجب : إطاعة الله ورسوله ، كما في الآيتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من سورة الأحزاب ..

والله كتب على المؤمنين في كل الأزمـان الصيام ، أياماً معدودات ، هي في شريعة النبيّ العربيّ (ص) : شهر رمضان..

وقد فصّل الحديث عن أيام الصيام في سورة البقرة ..

لكنّ ما يشغلنا هذا الصّباح هو شباب الانسانية في الصوم القرآني .. وهذايتطلب الربط العميق بين السور وآياتها لإدراك

الحكمة الكلية الشاملة :

وهـــذا الربط العميق يحملنا إلى بيان الصوم في سورة الحجُرات .. فهي بيانٌ للصائمين ..

وحدّق صديقي بي ، قائلاً :

لكن سورة الحجُرات ، لم تـُذكر بها لفظة الصيام أو لفظة الصوم ، فكيف تعتبرها بياناً للصائمين ؟

قلت ، وأنا أنظر بحنان لصادق :

يا صديقي ، أليس الصيام امتناعاً عما يُؤكل أو يشرب ؟

قال : نـَعم .

قلت : أليس الصوم امتناعاً عمّا يتكلم ، كما ورد في سورة مريم ؟

قال : نعم . وما علاقة هاذين بسورة الحجُراتِ ؟

قلت : هل تذكر الآية الثانية عشرة في سورة الحجُرات ، ونحن في اليوم الثاني عشر من شهر الصيام ، شهر الصبر :

قال : وهل يخلصني معك ومع منهجكَ إلا الصّبر ؟

إنّ الآية التي تشير إليها ، هي قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا

اجتنبوا كثيراً مِن الظنّ ، إنّ بعض الظنّ إثمٌ ..

ولا تجسسوا

ولا يَغتب بعضكم بعضاً

أيحبُّ أحدكم أن يأكلَ لحم أخيه ميّتاً..فكرهتموه..؟!
واتّقوا الله ، إنّ الله توّابٌ رحيم ..

قلت : هل انتبهتَ للصيام والصّوم في هذه الآية ؟

وهل ارتبطَ ذلك بمعاني الصوم التي تمنح الجماعة الإنسانية شباَبهـا ؟

قال : كلاّ ، وإنّ هذا يستدعي وقتاً للتفكير ، والتمثّل فهل نعود الى مختبر اكتشاف الشباب في سورة الحجرات غداً ، إن شاء الله .

إلى اللقاء ، والسلام عليكم .

الفَرَح الثَالِث عَشَر

بَيان لمنهج التصمِيم ومنهج الحكيم

عرفت أن صادقاً سيجيء قبلي ، هذا الصباح ، ليؤكد لي أنّ عقله لا يهزم ولا ينتابه العجز . وأنــه إذا استمهلني في فهم قضية فليؤكد لي مقدرته الروحية التي تستدعي التقــدير والثنــاء ..

وبالفعل ، وجــدت صديقي ينتظرني ، ومعَه ، المصحَف المفسر ، وكان منكباً على صورة الحجرات ، كما ينكب الصائم على مآكل مائدة شهية بعد يوم من ايام الصيام الطويلة الحارة ..

ضحكت لأشعره أنني جئت ، وحييته ، قائلاً :

ما شاء الله إنك تشرب حروف القرآن بعينيك شرباً ..

فرفع رأسه ، ووسع عينيه ، ثم قال همساً ، وكأنه لا يريد الخروج من صمته العميق الخاشع :

بل أشرب حروف سورة الحجرات بكؤوس القلب والنفس والرّوح جميعاً ، وليس بعينيّ وحسب .. ما هــذه السورة العجَب ؟

إنها كما قلت : بيانٌ للصائمين في كلّ العصور ؛ لكنها بيان

تربوي ينظم علائق الناس ببعضهم ، ويقيم بينهم جسور تفاهم ومحبة ، ويفتح لهم آفاق التعرف إلى بعضهم ، وآفاق التعاون لاستغلال قواهم التي تمنح الإنسانية شباباً دائماً ..

وقاطعت صديقي قائلا :

لا تذهَبْ بعيداً يا صادق ، دعني أفهَمْ اختبارك الحيّ واحدة واحدة ، هل اتّضحتْ لك صلة الصيام والصوم بالآية الثانية عشرة ؟ وكيف ؟

قال : ولكن هذه الآية متصلةٌ بما قبلها وما بعدها . والسُّورة وحدةٌ فنية متماسكة ترمز بتماسكها إلى ما ينبغي أن تكون عليه جماعة المؤمنين من الوحدة والتماسك ..

قلت : هذا صحيح ، لكنني أريدك واضحاً في جزء من الآية ، ومن إيضاح الجزء نذهبُ إلى معرفة الكلّ . هكذا يفعل الحكيم : يأخذ قطرة من الجسد ، يفحصُها ، ويعرف تركيب الدّم كلّه من اختبار قطرة منه ..

قال : دائماً ، أنت تُعيدني إلى حيث ينبغي لي أن أكون من منهج الحكيم . ولكنني أرجوك ان تتولى أنت هذا التحليل المفصّل لجزء من الآية ، فأنا كما تعرفني ، ربّيتُ على منهج التعميم الواسع .. وضحك ..

قلت : ما شاء الله لك وعليك ، أيها المعمّم ألا تعرف أنّ التعميم صديق .. وسكت .. فقال لي : فهمت .. لا تكمل

الجملة .. وإنما إشرح لي بمنهج الحكيم صلة الصيام والصوم بهذه السورة ، وصلة ذلك بشباب الإنسانية ..

قلت : لاحظ قوله تعالى :

« ولا يَغتَبْ بعضكم بعضاً .

أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخية ميتاً ؟

فكرهتموه .. »

هنا ، نلاحظ التقاء الصّوم والصيام . فالصوم يتعلق بالكلام .. والغيبة كلام : « ولا يغتَبْ بعضكم بعضاً » .. وهنا نهيٌ عن الاغتياب ، وبعبارة أخرى ، هنا أمرٌ بالصّوم عن الكلام في هذا المقام ..

والصّيام يتعلّق بالطعام والشراب ، وهنا : ذكرٌ لما يؤكل « أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » ؟ هنا استفسارٌ إنكاري ، أي ينكرُ على الإنسان أن يأكُل لحمَ أخيه الميت يعني هنا أمرٌ بالصيام عن هذا النوع من الأكل ..

واستوقفني صديقي ، عند هذا الحدّ ، قائلاً : فهمت جديداً من هذه الآية ، وعرفت أن الصيام والصوم مذكوران في سورة الحجرات ، مع أنني كنت أظنُّ البحث عن قضية من القضايا ، يكفي فيه تتبع النصوص الحرفية ، وما كنت أهتم كثيراً

باكتشاف الروح في صور حروف أخرى ..

على كل حال ، إن منهج الحكيم يختلف عن منهج التعميم .. ولكن ما العلاقة بين الغيبة والموت وكيف ربطت بين جملتي : النهي والاستفهام ؟

قلت : إن الغائب ، هنا ، بحكم الميت . كلاهما عدمُ حضور ، وبذلك يجمع الغياب بين الميت والغائب .. وهذا التشابه بين الغائب والميت يوحي بتشابه آخر بين الاغتياب والأكل .. فالاغتياب تكلم على غائب . والتكلم كسر للصوم ، الذي عرفناه إمساكاً عن الكلام ..

واكل اللحم إفطار ، والإفطام كسرٌ للصيام ، الذي عرفناه إمساكاً عن تناول الطعام ..

لكن كسر الصيام بتناول طعام ممنوعٍ في وقت الصيام ليس بخطورة كسر الصيام بتناول طعام محرّم تحريماً دائماً .

فكيف بلحم الإنسان الميت ؟ وبالأخص لحم الأخ الميت .؟

قال صادق :

يعني ان ذكر عيوب إنسان من ورائه يستاء من ذكرها وكشفها غيبة . والغيبة إفطار على محرم تحريماً دائماً . بل افطار على مكروهٍ كراهية مطلقة . ومن لا يتقزز من تخيل صورة إنسان ينهش لحم أخيه الميت ؟

فلماذا لا يتقزّز من ذكر عيوب أخيه الغائب ، والحالة واحدة ، بل قد يكون الوضـع المعنوي أقسى من الوضع الحسي» .

إنك يا امـين اقنعتني بتجاوز الفهم الحرفي للنصوص إلى الفهم الروحي لما يريده الله من خلقه .. ولكنني لم اصل تماماً إلى شباب الانسانية الدائم في معنى الصوم .

قلت : غداً ان شاء الله ، فصل مع الاختبار الحيُ.

إلى اللقاء

الفَرَح الرَّابع عَشَر

مقوّمات لشبَاب الإنسانيّة الدّائم

وفي صباح اليوم الرابع عشر سبقني صادق ايضاً ، لأنّه منهمك باكتشاف شباب الإنسانية الدائم في مختبر الصوم ..

حييت صادقاً ، وأنا أنظر الى عينيه وجبهته ، أقرأ فيهما التصميم والعزم لمعرفة جديدة ، وأقرأ فيهما عراك الصبر والتعب ..

قلت : ماذا في حقيبة صادق ، هذا الصباح ، وهو صباح الاختبار الحي لستة أيام بعد الاسبوع الأول ..؟

وكأنما فوجىء بذلك ، وقال : بل اليوم لمتابعة اكتشاف شباب الإنسانية الدائم في سورة الحجرات ..

قلت : هذا لا يمنع من تطبيق منهج الحكيم في الاختبار الحيّ لما يفتحه الصيام والصوم في نفسك كل أسبوع .. فكيف قرأت كتاب جسدك وكتاب نفسك في الأسبوع الثاني من رمضان ، وهل لاحظت تفتحات جديدة في مواسمها بعد التفتحات التي خبرتها في الأسبوع الأول ؟

زَفر صادق زفرة طويلة ، ثم أخذ نفساً طويلاً ونفثَه إلى أعلى وقال :

سأربط بين تـفتحات هـذا الأسبوع وبين كشف الشباب الدائم في الصّوم ، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعـة ، وأصارحُك :

أوّلاً : أن منهج الحكيم ممتع ٌ جداً ولكن صعوبته لا تقلُّ عن متعته ، فهو منهجٌ أفقي وعمودي .

هو عموديٌّ ، أي ينزل عمقياً في جزء من حديث ، كقول النبي العربي (ص) « الصيام جنة ٌ » ، ويُفجّر منه أشعة فجر ، للفرد وللجماعة ، على مستوى الجسد وعلى مستوى النفس .. أو يأخذ جزءاً من آية ، كقوله تعالى : « ولا يغتَبْ بعضكم بعضاً أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه .. » ويُفتح منها مواسم للبلاغـــة ، ومواسم للتربية ، ومواسم للدّين ..

هذا وجه العمق المفصّل في منهج الحكيم ..

أما وجه الأفق المجمَل فيه ، فتلك الإثارات التي تصِل الجزء بالكلّ من مستويات مختلفة ..

ويظهر الوجهان في اختبارات الأيام السابقة . فقد وصلنا ، عن طريق « حديث الفرح » بشهر الصّبر ، ووصلنا عن طريق الصّبر بمحيط الحقّ ، فوجدنا أنفسنا نسبح في نعيم آيات القرآن التي تشرح صور الإنسان في كلّ عصر اذا عرف كيف يفهَم الحكمة من صوم شهر الصّبر ..

ولما صرنا في آيات القرآن ، أخـــذ آية من آيات الصيام والصوم ، ووصلنا من أعماقها بآفاق العلاء ..

فحتى نفرّق بين الصيام والصوم كلفنا جمـــع الآيات التي ذكرتها وترتيبها حسب النزول ..

ولما كانت الآية الأولى تذكر الصوم ، والصوم يعني الإمساك عن الكلام ، نقلنا إلى القضية الكلامية ، وكيف يمكن أن يكون روح الصوم منهجاً للإنسانية لتحيا شباباً دائماً .. وهنا أتعبتني ملاحقته ..

قلت لصادق :

يبدو أنك مشغول بالشباب الدائم ، وتعترف أن ملاحقة المنهج أتعبتك . وهل يجد اتفاقاً بين التعب والشباب الدائم ؟
ضحكَ صديقي ، وشعر أنه يغلو في الكلام وهو يتحدّث عن الصمت ، وقال :

ما رأيك أن تخلصني من التعب ، وتركز لي أفكار البيان الشبابي في سورة الحجرات ..

قلت مبتسماً له ، بصورة اعتذار :

أنت تعرف أنـنّي أرتاح في اليوم السابع لأعطي التـــأمل مداه ، واكتشف نتائج الاختبار الحي في جسدي ونفسي ..
وأنت ممتلىء حماسة للتحدث عن ذلك ، ولكن تعبك جاء من

سرعة اندفاعك .. خذ نفساً طويلا ، وتمهل في صب أفكارك التي اكتشفتها للإنسانية من بيان الصوم في سورة الحجرات .. ففعل ما طلبته ، وابتسم لي ، وقال :

إن بيان الصّوم في سورة الحجرات يحدّد صفات المؤمن مع الله ومع رسوله ومع الناس :

فالمؤمن أديب مع الله ورسوله ، يُطيعهما ، ويجتهـــد ليفهم الحكمة من النص الإلهي أو النص النبوي ..

ولا يسمح لنفسه أن تقدم أحكاماً في حضرتها أو تعليماً لهما أو فتاوى عليها ..

والمؤمن . المتأدب بأدب الله وأدب رسوله يتأدب مع خلق الله ويقتدي برسول الله ؛ فيُطبق الأوامر والنواهي التي وردت في سورة الحجرات، وكذلك الأوامر والنواهي التي تثيرها هذه السورة من سور أخرى كسورة الأنعام والنساء ..

إن المؤمن يبينُ مـــا يسمع قبل الحكم .. وينصح أخاه الإنسان .. ولا يغتابه ..

المؤمِنُ لا يكسِرُ صومه بأكل لحم أخيه ، غيبةً او تكفيراً أو إساءةً ..

ان الالتزام بما ذكر في بيان الصوم ، في سورة الحجرات ، يمنحُ الانسانية قوة الأخـــوة والتعاون والمحبة ، وتلك هي مقومات الشباب الدائم ، للفرد وللانسانية ..

أليس اكتشافي صحيحاً ؟

قلت : إن اكتشافك يفتح نوافذ تنفذُ منها البصيرة ، إلى قارات فرح جديد ، لا يُغني ذكرها عن اختبار مواسم سعادتها ..

فحدّق صادق في كلّ الجهات ، كمن يبحث عن النوافذ وقال : وهل يمكن اختبار مواسم الفرح في قاراتٍ جديدة يأخذنا إليها الصوم ..

قلت : غداً نرى ، إن شاء الله . الى اللقـــاء . والسلام عليكم .

الفَرَح الخامس عشر

سُفنُ السَّفَر إلى قارات الفرَح

قضيتُ يوماً من التأمل في تفتحات الفرح الذي يمنحه الصّيام والصوم للجسد والنفس ؛

شعرت أنني أصفو فكرياً كما أصفو جسدياً .. وساعدني هذا الصّفاء على النفاذ بالبصيرة إلى قارئات جديدة من الفرح يأخذني إليها منهج الحكيم في الصوم .

كان بدر رمضان كاملا تلك العشية ، وأخذتني استدارة شكله الكاملة إلى بعيد من التصورات ، رحت في واحدة منها إلى أعماق التاريخ الإسلامي ، وتوقفت عند موقعة تاريخيـــة يُسميها التاريخ « بدراً » أو موقعة بدر .. وفكـّرت بصورة بدر رمضان ، وبمعنى اسم موقعة بدر .. وقرأت الموقعة قراءة جديدة لا أدخل في تفاصيلها لكنني أشعر أنها رمزٌ إلى ارتفاع التوحيد الإسلامي واكتماله الدائري ..

وعند الكمال الدائري فطنت إلى نعميات الفرح التي يمنحها الله للمؤمنين به ..

وبين الفطنة والفرح جاء صادق فحيّاني ، ودخل الموضوع

بلهفته المعتادة ؛ هو ذلك المهتم بمعرفة جديدة لينقلها الى الناس نعمة جديدة ؛ إنة صادق باسمه وصدوق بحياته للإنسان ؛ لذلك مشى بخط مستقيم إلى حديث الشباب ، شباب الإنسانية الدائم ، وقال :

تركتك في نهاية الأسبوع الثاني من رمضان وأنا أحلم بمجيء اليوم الأول من الأسبوع الثالث ، لأسافر معك إلى قارات الفرح الجديدة التي نفذت ببصيرتك من نوافذها عندما حدّثت عن مقوّمات الشباب الدائم ، للفرد ، وللإنسانية ..

قلت : وهل خطر أن تتأمل مجدداً في اكتشافك لمقوّمات الشباب الإنساني من بيان الصوم في سورة الحجرات ..

فأومأ صادق برأسه ، أن نعم .. وتابع قائلا :

وبدا لي أن حديث الفرح الذي أختبرناه في الأسبوع الأول دليل إلى هذا الفرح الكوني الذي يدعو إليه الصوم في بيانه القرآنيّ ..

قلت : وكيف بدا لك الفرح الكوني من الحديث والسورة ؟

قال : ألم يكن الحديث تناولاً لصلات الله بالإنسان ، وصلات الإنسان بالانسان وبالعالم ؟

لقد رأينا الله يهتمّ بالصائم ويعتبر صيامه لله ويكافىء عليه .. ورأينا رسول الله (ص) يهتمُّ بالصائم ويخبرُ عن حفاوة الله به ومنحه الفرح في الدُّنيا والآخرة ، اذا سلك مع أخيه الإنسان سلوك

الصائم الحق ، فلم يصخب ، ولم يلغط ، ولم يُساب ، ولم يقاتل .. بل يتسامح مع من يستد رجه لهذه المعائب الإنسانية ويعتذر إلية بالقول : إني امروٌ صائمٌ ..

وهذه الأخلاق الصومية ترفـــع الصائم بالفرح من المستوى الفردي الخاص إلى المستوى الإنساني العام ؛ لأن الله وهو المهيمن على الكون، ورب الإنسان في كل مكان يأمر بهذا السلوك الخلقي بين الصائم وسواه ..

وقاطعت سرحة صديقي الكونية ، قائلاً :

وهل ترى عند هذا المفترق جسر الوصل بين صيام « شهر الصَّبر » أعني شهر رمضان .. وبين صوم « مدى العمر » أعني الإمساك عن أية كلمة تسيء إلى إنسان كالاغتياب مثلاً .. ؟

وفكر صديقي قليلاً ثم قال :

تعني أن الصيام في رمضان تدريب للانسان ليكون صائماً الصوم الأخلاقي مدى العمر ..؟

قلت : هذا ما أعنيه ، لأن الإمساك عن الطعام ، كما يؤكد الأطباء ، يريح الجهاز الهضمي ، وإراحة هذا الجهاز تريح الجسد كله .. والراحة الجسدية الكلية تمنح الانسان قـــدرةً عصبية أكبر على التحمل .. وإذا تعود هـــذه القيم الاخلاقية في شهر الصبر ، فإنها ستصبح عادات له مـــدى العمر .. وإذا صارت كذلك يتحقق الحلم الإسلامي الأكبر ، وهو السعادة الكونية للانسانية ، والتعارف بين الشعوب والقبائـــل ، والتناصح

والتسامح والتحابُ ..

أليست هذة الأخلاق الصّوميّة مقوّمات الشباب الدائم للإنسانية ..

وكاد صديقي أن يقفز من نفسه فرحاً ، كمن تفتح في صميمه موسم جديد من مواسم الفرح ، وقال :

إن اهتمام الإسلام بالإنسان يجدّد حيوية الإنسان ، وأشعر أن ملايين المسلمين الصائمين سيكونون حكماء بصومهم وسينفذون إلى قارات الفرح التي وعدتنا بالرحلة إليهـا على سفن الآيات القرآنية وطائراتها ؛ فمتى السَّفر ؟

قلتُ : غداً إن شاء الله ، إلى اللقاء . والسلام عليكم .

الفَرع السادِس عَشَر

أينَ المَرْأة مِن قارة التوحيد ؟

وجدت صادقـاً ينتظرني صباح اليوم السادس عشر ، ومن بعيدٍ لوّحَ لي بالتحية ؛ ورأيت ابتسامته العريضة قبل وصوله ؛ وحييت صادقاً بمثل ابتسامته ؛ ونشر شغفه بالرحلة على جناحي ابتسامته ، وقال :

لقد جهّزت نفسي للسّفر ، فإلى أية قارة من قارات الشباب الدائم ستأخذنا هذا الصّباح .. وبأية طائرة سنسافر ..؟

وضحكت لصديقي ، وهو يستخـــدم عبارات شعرية في كلامـــه ، وهو المختص بفرع علمي .. وكأنما فطن لذلك ، فقـــال :

أعرف انك تفكر باختصاصي العلميّ وبتعبيري الأدبي .. ولكنك نسيت أن معاشرة نصوص الحديث النبوي ونصوص السور القرآنية ، تمنح اللسان بياناً كما تمنح القلب حناناً ..

وأعجبني التعبير مرة أخرى ، فابتسمت له ؛ وقلت لذلك تريد السفر على طائرة سورة كريمة إلى بلاد الفرح الإنسانيّ .. وأومأ بالايجاب قائلا :

ولكن لا تنسَ الحكيم ، ففي رحلة كهذه نحتاج حكيماً ، يحلل لنا حكم ما نشاهد .. فنحن نبحث عن إكسير الحيـــاة السعيدة للإنسان في مختبر الصيام والصوم .. وإنني بين الفترة والفترة أوشك أن أستغرب ما نكتشفه من فرح الصائم ، ثم أعود فأستأنس بالحقائق الواقعية التي تسمو إلى منزلة البداهة التي لا تحتاج برهاناً ..

فقلت: يا صادق .. إن قراءة الاختبار ،غير قراءة الاخبار، فأنت تسمع خبر معركة بدقيقة ، لكنّ ترجمة المعركة حياتياً يعني أموراً كثيرة ..

وكذلك قضايا الصيام وقضايا التشريـع الدّيني كلها ؛ فهي للاختبار والعيش وليست للتفاصُح بها والتكلم عنها ؛

فقاطعني قائلا :

لذلك أحب أن نصعُد حالاً وأن ندخل المختبر فوراً ..

قلت :

إذاً ، نسير على خط مستقيم ؛ ونختبر الانتقال إلى بلاد الفرح مع السورة الثانيـــة التي ذكرت الصيام حسب التنزيل ، وهي سورة البقرة ، وفي خمس آيات من هذه السورة شرح لكيفية الصيام ، وتفاصيل يعرفها الصائمون ..

فاستأذنني صادق ، وقال :

لا قطعَ الله لك حديثاً .. ولكننـــا مسافران معاً .. ومن شروط المرافقة الموافقة .. وأرجو أن توافق اقتراحي ، فتختبر

أمامي آية واحدة من آيات هذه السورة وترفع لي الستائر عن حقائق الفرح الكوني في فريضة الصِّيام من خلالها :

قلت : يعني نطبق منهج الحكيم في الهضم الثقافي ..

قال : هذا خير ما يغذّي العقل غذاء يمنحه قوة وشباباً .

قلت :

ألا تذكر قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ،
كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. »

قال : وأين الفرح الإنساني في هذه الآية ؟

قلت : تأمل ، السلم الموسيقي في الآية ، الطبقة الأولى :

في النداء ، وهو موجه الى المؤمنين بشريعة هذا النبي العربي الذي يجدد شباب الأنبياء السابقين ..

والطبقة الثانية : في الأخبار ،وهو متعلقٌ بفريضة الصيام ؛ فالله كتبها على المؤمنين بالله ورسوله ، كما كتبها على المؤمنين بالله ورسل الأمم السابقة ..

والطبقة الثالثة : في الرجاء والأمــل ، فالله يفترض هذه الفريضة على المؤمنين أملاً أن يتـقوا .. أي أن يدخلــوا في الوقاية ، خشية المعصية الممرضة ..

وهتف صادق منشرحاً :

أتعرف أنني فهمت التقوى ، في هذه اللحظة بصورة علمية

جديدة . وأفكر أن هذه التقوى ، ويطالعها معجـــم الألفاظ القرآنيـــة تحت وقى ، تفسر على ضوء الحديث النبوي القائل : « الصيام جنة »

يا الله . ما أجمل المعرفة الجديدة !

قلت: والأجمل في المعرفه ان تعمق معرفة الإنسان للانسان فتزيده منه قرباً وبه حباً .. فآية الصيام هذه تكشف هذه الصلات الواحدة ، بل تكشف قـارة التوحيد في بلاد الفرح . فالله هو الله المهتم بالمؤمنين في أمة محمد وفي الأمم السابقة .. إنه يفرض عليهم الصيام ليمنحهم صحة وسعادة ، ..

نظر صادق إلى السماء ثم الى البعيد ثم إلي ، وابتسم قائلاً : إنني أفكر بصورةٍ قد تضحك لها ، وهي :

ان هذه الوحدة بين المؤمنين تجيء بصيغة المذكر ، فهـــل يعني ذلك قارة وحدة بين الرجـــل والمرأة ام ..؟ ضحكت لأنه لم يكمل الجملة ، وقلت غداً نرى ان شاء الله .



الفرح السّابع عشر

رُوح الدّين تسامح يمنح الرّجاء

جئت صباح اليوم السابع عشر مبكراً ؛ فقد ملأتني ملاحظات قارّة الوحدة في بلاد الفرح بالأمل والثقة ..

وثقت بالإنسان ، هذا الذي يهتم له وبه ربه في كل فريضة من فرائض الإسلام ؛ إنه يريد له الوقاية من أمراض الجسد ومن وساوس النفس ..

لذلك يكتب عليه الصيام ليكون جنة له من هدر طاقاته الجسدية والعقلية ..

كم تربح الإنسانية من الوقت لو اقتصدت طاقاتها المهدورة في الخلافات والتفريق ؟ كم تربح الإنسانية لو وجهت ما تنفقه من طاقاتها للأذى على التعاون المحب بين الفريقين المختلفين؟

إنني أثق بإنسان الله المؤمن الملتزم بما كتب الله عليه .. وإنني أرى في رياضة الصيام الجسدي مرتقى إلى رياضة الصوم النفسي ..

وإنني أرى في هاتين الرّياضتين جناحين يرتفع بهما الإنسان إلى قارة الوحدة في بلاد الفرح .. ويفرح بأخيه الإنسان في كل

مكان وزمان ..

وفجأة تذكرت ان صادقاً تأخر هذا الصباح ، وليس من عادته أن يتأخر في موعد أو شيء، فهو مثال الاندفاع والدقة .. وبدأت الأفكار تراودني قلقاً عليه .. وخطر لي : سبحان الله نحن نفكر بسعادة الإنسانية كلها ، فكيف نشقى.. ولم أكمل الجملة .. لأن صادقاً جاء .. وحياني بغير ابتسامة .. لقد كان وجهه مكتئباً .. وحول عينيه ارتسمت دائرتان تبوحان بدم يكاد يخبرني بالقلق والأرق .. كان صادق يحمل معه معجم الألفاظ القرآنية .. ورأيت في المعجم مدخلاً لإزاحة الغم وكشف السر .. قلت :

صادق .. ما هذا الذي تحمله بيمينك ؟

قال : معجم الألفاظ القرآنية .

قلت : ولماذا ؟

قال : لأتقي به أهل الجدل في الدين .

قلت : خيراً .

قال : لم أنم الليلة ، فقد أبديت فرحي برحلة الأمس ، وأشرت إلى معنى التقوى في قوله تعالى : « كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .. على ضوء الحديث الشريف القائل : « الصيام جُنة » ..

فلم يُعجب هذا التفسير بعض من كانوا ؛

قلت : وماذا أزعجك في آرائهم ؟

قال : هذا التزّمت في الفهم ، فهم لا يريدون أن يفهموا التقوى اتقاء للمعاصي واحتماء بإطاعة الله وإطاعة رسوله من تلك النواهي التي تهدر طاقة الإنسان ، إذا لم ينته عنها .. وقد قرأت لهم ما جاء في شرح الآية في المصحف المفسر ، وقرأت لهم كلّ ما ذكر من شروح للفظة في هذا المعجم ، وهو :

« وقي الشيء وقاية : صانه عن الأذى وحماه ..

وقاه الله السوء : كلأه منه

ووقاه توقية : حفظه وصانه

واتّقى الله : خاف عقابه فتجنّب ما يكره .. واتّقى الشيء : حذره وتجنّبه ..

والتقاة والتقوى : الخشية والخوف .

وتقوى الله : خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقاء ما وقيت به شيئاً ..

فضحكت بصورة مثيرة ، وقلت لصديقي :

الأمر واضح ، والمشكلة في إدراك الرّوابط بين المشتقات. فالتقوى بمعنى الخوف من الله هو المعنى الشائع .. ولكنّ روح الآية لا يحمل معنى الإخافة والتهديد قدر ما يحمل معنى الرّجاء

والأمَل بخير الإنسان وصحّته .. فالله سبحانه لا يُريد بكتابة الصّيام على المؤمنين تخويفاً لهم ، وإنما وقاية لهم من الوقوع بما يخيف ..

على كل حال ، أرقت الليلة الماضيــة ولم تنم .. واستعملت معجم الألفاظ القرآنية سلاحاً في مجادلتهم هناك ..

فلماذا تحمله معك ؟

قال لأصدّ به من يتصدى لي في النهار ..

نظرت في وجهه المجهَد، وفكّرت قليلاً ، ثم ابتسمت بحنان وحب .. ولم أقلْ شيئاً .. بل تأملت في عينيه ثانية وثالثة .. ولم أقل شيئاً فانتبه لصمتي وكأنه كان منبّهاً له .. وقال بلهجة حازمة :

أمين . لماذا تتأستذ عليّ ؟

فضحكت وقلت : يا صادق إني امرؤ صائم .

فاغرورقت عينا صديقي بالدّموع ، وتوقف قليلا ثم قال :

أخي ، معـــذرة ، فأنا لم أقصدْ أن أسبّك أو أقاتلك أو أصخب أو ألغط أمامك ..

أمين .. منهج الحكيم أماني . لقد فهمت في هذه اللحظات الصّامتة منك الدرس والعبرة ..

أردت أن تقول : لا حاجة لهذا المعجم إذا كنت صائماً .. الصائم الحقُّ يكتفي بالانسحاب من الجدل الصاخب اللاغط ..

وأنا خسرت المعركة بالأمس .. لكنني لم اكن صائماً، كان ذلك بعد الافطار ..

وضحكت هذه المرّة بصوت عال ، مع أنّ كرات من دموع صديقي تدحرجت على خدّيه وقلت :

يا سيّدي : اين انتقال أثر التدريب ؟

ألا تعني رياضة الصيام والصوم تدريباً لما بعد زمنها ؟

إنك أخطأت بحقّ المرأة بالأمس ، ولذلك عاقبك الله ..

قال ضاحكاً ، وقد استعاد وجهه الصادق . كيف ؟ قلت : غداً نرى ..

الفَرَع الثَامِن عَشَر

مَا التي هي أحسن عند كل مجادلة ؟

وجدت صادقاً ينتظر ، عندما جئت الى موعدنا صباح اليوم الثامن عشر من شهر الصّبر ..

كان صديقي متهلل الوجه ، باسم الثغر .. حيّاني قبل أن أصل .. وخطا إلى الموضوع بسرعته التي ألفتها ، قال:

لماذا أخطأت أنا بحـــق المرأة فعاقبني الله ؟ وهل ترى في مجادلة المتزمتين خطأ أو عقوبة ؟

قلت : من أين نبـــدأ من المتزمتين ، كما تسميهم ، أم من المرأة ؟

وضحك للسؤال ، وللمفارقة في صياغة السؤال ، ثم قال :

أعجبني ان تضع المتزمتين والمرأة على مسرحٍ واحدٍ ، وفي شهر رمضان ..

قلت : صادق ، هذا خطأ جديد ، فأنت توشك أن تكسر الصوم بالغيبة .

فنظر إليّ ، ولم يقل شيئا .. وتابعت القول ؟ كيف تريد معالجة السؤالين ؟

أفكر أن الحديث عن أولئك الأخـــوة ، الذين اختلفتَ معهم في تلك العشية ، لا ضرورة له ، لأنني أشعر بالتسامــح والحب يملأن قلبي .. وإنني أقرأ نفسيتهم من خلال قراءة نفسي، فأنا لم أستطع التخلي عن عادتي في محاولة كسب الموقف وتأييد رأيي الذي أثق أنه حقٌ ، وهم علـّموا، او لم يُعطوا فرص التعلم أكثر مما يعلمونه الآن ..

لذلك، اعتقد أن واجبي ، وقد بدأت اختبار منهج الحكيم ، أن أدرك روح الاسلام المشرقة في ما يسميه القرآن « بالتي هي أحسن » عند كل مجادلة ، مع القريب ومع البعيد ، والتي هي أحسن في مثل جدالنا بالأمس الا ادخل في الجدل مباشرة ، بل أنصح بقراءة كتبٍ جديدةٍ تبحث الغذاء العقليّ ، واسمي لهم كتاباً مثل . « عش شاباً طول حياتك » للدكتور بوجو مولتز .. مثلاً .. فبذلك انصحهم وافتح لهم آفاق صحـــة وسعادة فيكتشفون ما نكتشفه من قارات الفرح في فريضـــة الصيام والصوم ..

قلت : ما شاء الله .. انت اليوم معلم وصائم .. ولكن المهم ان تضبط اعصابك عند التطبيق .. فرنا إلي.. وقال :

كفاني ما لقيته البارحـــة من ملاحظات هي حادة وجادّة معاً .. وأحبُّ أن أعرف الآن أين خطأي مع المرأة ؟

ضحكت ، وحاولت أن أتذكر أمراً .. وبعـد قليل من الوقت ، سمحت له أن يفكر به ، قلت :

ألا تذكر سؤالك حول قارة التوحيـــد في بلاد الفرح ؟ أم تعتقد أن الله خصّ بها الرجال وطرد منها النساء ؟

ابتسم صادق، وهزّ رأسه مفكراً : أنا يومها فكرت بصياغة الآية الكريمة ، وأنها خاطبت المؤمنين ، ولم تقل المؤمنات .. ولم اقرّر طرد النساء من بلاد الفرح في قارة الوحدة .. بل قلت :

« هل يعني ذلك قارة وحدة بين الرجل والمرأة .. أم ؟ وقاطعته ، هنا ، قائلا :

إن هذه الأيام..هي أمُّ المشكلة .. إذا اعتبرنا أن في الأمر مشكلة ، والأولى بنا ألا نعتبر ؛ لأن القضية واضحة إذا تركنا عالم المعوّقات وسافرنا إلى بلاد الفرح ، هذه المرّة نُسافر على جناحي آية من سورة الأحزاب ، فتنقلُنا إلى قارة الصائمـــين والصائمات في بلاد الفرح ...

ووضع صادق يده على جبهته ، ورفعها ، قائلا :
يا الله .. أتعني قوله تعالى :
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيراً والذاكرات
أعدّ الله لهم أجراً عظيماً .. (للأحزاب : ٣٥)

فابتسمت لصديقى وقلت :

الحمد لله الذي شرح صدرك ووضع عنك وزرك ، فتذكرت وحدة النظرة الإلهية إلى الإنسان ، رجلا وامرأة ؛

فالله سبحانه احد متعال عن الفروق التي نصطنعها في غير مكانها ؛ لذلك يَعتبر إنسانه واحداً ، ويبعَث رسله اليه ليرشده إلى مواسم الفرح في : الإسلام ، والإيمـان ، والقنوت ، والصدق ، والصبر ، والخشوع ، والتصدق ، والصوم ، والعفة ، والتذكر..

إن لكل موسم من هذه المواسم العشرة ثمارها الدّانيـة القطوف اعدّها الله للصائمين والصّائمات افراحاً .. إذا اطاعوا الله ورسوله فيما قضى الله لهم من امور يبلغُها رسله ..

واستبشر وجه صادق ، وقال :

أهذه قارّة الصّائمين والصّائمات أم قارة الأجر العظـيم لعشرة ألوان من الناس يتحدون في واحد ؟

قلتُ : غداً إن شاء الله . نتبين ذلك من قارة فرح اخرى تجاور هذه القارة ؛

الى اللقاء . والسّلام عليكم .

الفرع التاسع عشر

أسلوبان للتعامل مع الدين والدنيا

حييت صادقاً تحية الشروق ، فقد كان ينتظرني .. وردّ التحية سائلاً :

الى أية قارة نسافر اليوم : أإلى قارة الصائمين والصائمات ؟ أم الى قارة الأجر العظيم لعشرة ألوانٍ من الناس تتحد في واحد ؟

قلت : وهل هما قارتان أم قارة واحدة ، كل منا اقترح لها اسماً ؟

قال : انا افضل اقتراحي الملوّن بالألوان العشرة من الناس المتحدين في واحد ..

ودارت في خاطري كرة السؤال الحرج ، ونويت ان اضغط قليلاً على تفكير صديقي لأفجر من طبقاته العليا منابع الفهم المتزن السّوي .. حدقت في وجهه ، ولم ابتسم ، بل اتخذت طابع الجاد ، وقلت :

صادق .. تفهم الألوان العشرة من الناس في واحد . اما ترى في ذلك تناقضاً بين الكثرة والوحدة ؟

والتفت كمن يقفز من السفح إلى القمة ، وتملّى قليلاً ، ثم قال :

وكيف يخطر لك ان تسأل سؤالاً يهزُّ اغصان آية من آيات القرآن الكريم بما تسميه التناقض ..؟ وهل يجوز لك ان تفكر بغير الانسجام التام في كل آياتِ الوحي ..؟ آه لو سمعك واحد من المتزمتين الذين سهرت معهم تلك الليلة الصاخبة .. اتعرف ماذا كان يجري .. ربما كان يعطيك بطاقة سفر إلى بلاد الكفر بدلاً من اسفارك إلى قارات الإيمان في بلاد الفرح ..

نظرت إلى صديقي نظرة عاتبة ، وقلت :

استغفر الله لك يا صادق ، فأنت تقع مرة اخرى على مائدة الغيبة المقززة ، « ايحبُّ احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً .. » ؟

ألم تعف عن هؤلاء الأخوة الذين تسميهم متزمتين .؟الا يجدر بك ان تحبهم اكثر لتستطيع الانتقال بهم الى مصادقة روح الإسلام كما صادقوا حروف نصوصه ..؟

ضع نفسك مكان واحد منهم ،وتصور انك اقسى المتزمتين، وحاورني في السؤال الذي طرحته عليك، وسترى كيف نخلص إلى تفاهم تام، وكيف نُصبح معاً على قارة الأجر العظيم ، في بلاد الفرح ..

ضرب صادق يده اليمنى بيده اليسرى ، وقال :

أعوذ بالله ، أنا لا أسمح لك ان تسألني هذا السؤال الذي

تتهم الآية الكريمة بالتناقض .. كلام الله لا تناقض فيه .. هل أنت فاهم .. إن سؤالك يُشبه أسئلة المحتجين الكافرين .

ونظرت في سحنة صادق، وقد تغيرت، ولا أكتم فقد خالجني شعور غريب ، لكنني تماسكت ، وركزت نظراتي على عينيه اللتين اتقدتا بما يشبه الغضب .. وابتسمت بهـــدوء المطمئن إلى شعوره بالمحبة والحنان وقلت :

يا سيدي ، أنت أحفظ مني لنصوص القرآن الكريم ، وأنا أعترف بغيرتك على الإسلام وفضلك في هـــذا المجال .. وإنني أرجوك ان تتلو الآية الكريمة التي نحن بصدد التحدّث عنهـــا لتعلمنى الانسجام والوحدة بين ألوانها العشرة .. فرفع يديه إلى قرب اذنيه ثم انزلها ، وقال :

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدّقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ..
اعدّ اللهُ لهم مغفرة واجراً عظيماً ..

صدق الله العظيم

لقد امتلأت نفسي بالغبطة وانا اتأمل بالجو الذي ترفعني إليه كل كلمة من كلمات الآية .. فقلت :

حيّاك الله يا سيدي .. انعرف ان تلاوتك علمتني دروساً جديدة في السرور من اسرار هذه الآية ..

واستبشر وجه سيدي المعلم ، وقال :

قلْ ماذا تعلمت منيّ ..

قلت : لقد شرح الله صدري ، وانت تتلو الآية ، فرأيت فيها عشرة ألوان متناغمة ، وفهمت انها الوان لمزايا الإنسان الواحد الذي : اسلم ، وآمن ، وقنت ، وصدق ، وصبر ، وخشعَ ، وتصدّق ، وصام ، وعفّ ، وأكثر من ذكر الله ..

ان هذه الألوان اثواب تلبسها نفس هذا الإنسان وتزهوَ بها كل ساعة من ساعات صيامه وصومه .. لكنه لا يلبسها إلا عندما يكون على قارة الأجر العظيم من بلاد الفرح .

هتف صادق ، لقد غلبتني « يا بنيّ » ، وعلمتني جديداً من منهج الحكيم .. واحب ان نتبارز مرة اخرى .

قلت : غداً إن شاء الله ..

الفرح العشرون

التوفيق بين الأجيال والمصالحة بين الروح والجسد

تأخرتُ في الحضور إلى مكان اللقاء، صباح اليوم العشرين، لأترك لصديقي فرصة التهيُّؤ للمبارزة ..

وتأملت طوال النهار والليل في ما يَشغله . إن صديقي صادق في محبته للإسلام وللناس الذين يحاورهم ويهاجمهم أحياناً، وهو مشغول باكتشاف أسلوب في فن العلاقات الإنسانية، يوفق بين الآباء والأبناء، بين الأمهات والبنات، بين المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات، بين القادة والشعوب ..

أفلا سبيل إلى اكتشاف هذا الفن السحريّ في العلائق الإنسانية .؟

مراراً أظهر لي رغبته الملحة حتى الولع بهذا الفن الذي يقيم بين هذه الأجيال من الناس روابط محبّة وتعاون، لا روابط خوف وتنافر ..

وخطر لي اليوم، أنّ منهج الصوم وما يستدعيه من قواعد الأخلاق هو قوام هذا الفن في العلائق الإنسانية، ومن أحسن من الله، ومن رسول الله، منهجاً في تعليم الناس المحبة والتعاون ؟

لكنّ صعوبة هذا المنهج الصومي تكمن في ما يستدعيه من قدرات عصبيّة لينتقل الإنسان من الكلمة إلى ما تعنية ، ثم يَعيش معناها مواقف في حياته ..

لقد صرّحت بهذا مراراً لصديقي الصادق في غيرته على الإسلام وجهاده لأمته ، ومن يجاهد للإسلام فإنما يجاهد للنوع الإنسانيّ كله ؛ لأن المسلم يسلم بأوامر الله ويطيع أوامر رسول الله .. وهذه الأوامر تأمره بالتوحيد والوحدة ..

فالمسلم يوحد ، ان يَعبد إلهاً أحداً ، فرداً ، صمداً ، تجاوز الأكفاء والولد .

والمسلم الذي يَعبد الأحد ، ويسلم من أشراك الشرك التي تحتال عليه بصور حاجاته وشهواته واهوائه واولاده واحبابة .. المسلمُ الموحّد في عبادته وتوجهه إلى الله ، يجد نفسه موحداً على صعيد آخر ، هو صعيد الوحدة الإنسانية ..

لذلك ينظر إلى الإنسان نظرة العبد الواحد لربّ واحد ، فيحب كل بني آدم ويجاهد لخيرهم ، حسيّاً وعقلياً ؛ لأن الإسلام التوحيدي ، يقيم وحدة بين مصالح الرّوح ومصالح الجسد .

المسلم الحق ، يوحد الله توحيداً فلا يشرك به اهواءه ، ولا يقيم إلها لكل هوى .

والمسلم الحق ، يوحّد الإنسان وحدة ، فلا يفرق الإسلام

فِرقاً يحرق بعضها في نار جهنم ، ويحرق بعضها في نار غضبه ، ويحرق بعضها في نار اجتهاده ..

إلى آخر مـــا هنالك من نيران العباد الموقدة في افران الأهواء .

إن منهج الضيام يروض المسلم ليكون هذا الموحد إلهياً ، الوحدوي بشرياً ..

وافكر ان اختبار هذا التوحيد على المستويين ، يصالح بين الأجيال في بيوتنا ، ومدارسنا وجامعاتنا وجوامعنا .. واظنه كذلك يصالح بين الفِرق ، على صعيد الإسلام ، وبين الأمم على صعيد الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ..

لكن الصعوبة في التطبيق ، او في اكتشاف الكيفيـة التي يوضع بها هذا المنهج في التطبيق . فكيف.. كيف نصـل إلى فن العلائق الإنسانيـــة الذي يضعنا في بلاد الفرح ، ويملكنا كل قاراته .. ؟

حاورت نفسي ، بهذا ، وبأمور كثيرة أُخرى ، وقلت لنفسي ، لماذا اقسو على صديقي القريب ، واقطع معه الصلة ، مع انني ابحث عن فن صلة كوني .؟

ينبغي ان اذهب للقائه .. انه وجد بداية عملية اقرب إلى استعمال الناس على كلّ المستويات ..

وجئت إلى مكان اللقاء ، فوجدت صادقـاً ينتظر ، وعلى

وجهه علامات تعجّب وعلامات استفهام كثيرة ..

حييته فلم يردّ التحية ، بل قال ، معاتباً : ولماذا جئت ؟ لقد ظننت انك خفت من المبارزة ولن تجيء إلى لقائي بعد مبارزة الأمس .

قال هذا ، وهو يتكلف الجدّ ، ويكتم ابتسامة اللهفة للقاء .. فقلت:

إن مثلك يؤنس ولا يخيف ، إنك حوار دائمٌ في قلبي ، عندما تكون غائباً وعندما تكون حاضراً .. ورويت له ما دار في نفسي حول اكتشاف فن العلاقة الإنسانية او منهج « التي هى احسن » لاختبار التوحيد الإلهي والوحدة الإنسانية ، وفق منهج إسلامي خالص ، هو الدين الحق عند الله الأحد ..

لم يفاجأ باعترافاتي ، فهو يثق بمنزلته في نفسي ، وبقيمة ما يشغله في عقلي .. بل قال :

لماذا لا نختبر الوان قارة الأجر العظيم لوناً لوناً ، ونقرّب اختبارنا بصورة حياة سهلة ؟.

قلت : غداً نجرب معرفة احدها عملياً إن شاء الله .

إلى اللقاء . والسلام عليكم ..

الفَرَح الواحِد والعِشرُون

رَاحة التراويح واسْلِحة المحبّة

لِفَرَحٍ مُستَقبلي

- ١

دعوت صديقي صادقاً إلى الأفطار معي ، ليلة العشرين من رمضان المبارك .. وتعمّدتُ ان يكون طعامنا خفيفاً ومغذياً لأنني نويت أن نقيم الليلة معـــاً ؛ وأن نعطي انفسنا فرصة أطول للتفكير بمنهج يسكننا بلاد الفرح ، ويمدُّنا بكل مواسم قاراته ..

اراحتنا التراويح بعد الصيام والطعام،**ودعونا بدعاء رسول الله النوري .**

« اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمــالي نوراً ، وامامي نوراً ، وخلفي نوراً ، وفـوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، **واجعلني** نوراً .. »

وشرح الله صدرينا بصورة مسعدة ، **فالتزمنا في صلاتنا ما أيد عن رسول الله (ص) من أدعية ،عندما يفتتح الصلاة ؛ أو عندما يقوم إليها ؛ وعندما يركع؛ وعندما يرفع ، وعندما**

يسجد ؛ وعندما يدعو بين التشهد والتسليم ؛

- ٢ -

وتروي عائشة امُ المؤمنين ، أن رسول الله كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بالدعاء :

« اللهمَّ رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل .. فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة .. انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون .. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك .. إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ..

- ٣ -

ويحدث الإمام علي بن ابي طالب (ع) ، عن رسول الله (ص) انه كان إذا قام الى الصلاة قال :

« وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين ، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين ، لا شريك له . وبذلك امرت وانا من المسلمين ..

. اللهم انت الملك لا إله إلا انت . انت ربي وانا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا انت ..

واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاّ انت ، واصرف عنيّ سيئها لا يصرف عني سيئها إلا انت ..

« لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك .. انا بك وإليك.. تباركت وتعاليت .. استغفرك واتوب إليك..

وكان ، صلى الله عليه وسلم ، إذا ركع يقول :

« اللهم لك ركعت.. وبك آمنت .. ولك اسلمت.. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي ...

وكان (ص) إذا رفع يقول :

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .. »

وكان (ص) إذا سجد يقول :

« اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك اسلمت . سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ، تبارك الله احسن الخالقين ..

وكان (ص) يقول بين التشهد والتسليم من آخر ما يقول :

« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما اسرفت ، وما انت اعلم به مني ، انت المقدّم وانت المؤخر ، لا إله إلا أنت .. »

- ٤ -

لقد دعونا الله ، تلك الليلة ، بأدعية رسول الله المأثورة ، وامتلأت نفسانا بغبطة الطمأنينة كأننا في فرح البلاد الأمينة..

لكن صديقي لم ينس فكرة المنهج المختبر ؛ ليفتح الربيع الانساني من قواعده ، فتزهر الأشجـار آلافاً وآلافاً في نسمات الربيع الحنونة ، ويصبح في ذلك الربيع ملايين المؤمنين سعداء فرحين ، لأنهم تجاوزوا فصول الفرق إلى دورة التوحيد الإلهى والوحدة الإنسانية ، فأصبح الناس بنعمة الله إخوانا ..

ونظر إلي صادق بطرف خاشع قبيل الفجر ، وقال :

- ٥ -

الا ترى أن نقضي نهـــار عطلتنا في ترتيب مواد منهج الفرح المستقبلي ؟

قلتُ ، وهل يكفي نهار لاعداد مستقبل فسيح لانسان كوني سعيد ؟

قال : دعنا نبدأ . فإن البدء نصف الطريق . وكما قلت لك ، فإن الاختبار الحيوي يفرض علينا اختبار لون واحـد في يوم واحد ، لنتمكن من هضمه .. فإن من حكمة الصيام ان يساعد الإنسان على هضم ما يأكله .. لأن تراكم الطعام في المعدة يتعبها ، فيعجز الجسد عن تمثله فيتحوّل الغذاء سمومـــاً كما حدّثني عن الحكيم . وكذلك أرى فيما يتعلق بطعام العقل وشرابه .. فإن تراكم الغذاء العقلي وعدم تمثله يخلق هذه السموم الإنسانية - المجتمعية ، كما نراها في الفرقة والخلاف والكراهية ..

قلت : الا نتناول سحورنا ، ونرتاح بعض الوقت ؛ ثم نعود إلى التفكير لنتناول سحور الفكر بعد سحور الجسد ؟

- ٦ -

وشرق صديقي بدموعه ، وتوقف عن الكلام للحظة ، ثم تشدّد على نفسه وتابع القول .

تلاحظ البون الشاسع ، **بين أخلاق الدين، كما هي في مبادئه، وبين أخلاق الناس الذين يظنون أنهم يطبقون تلك المبادىء ..**

أشعر بشفافية الحبّ تملأ روحي بعد قيام الليل ، واختبار السلوك النبويّ الذي حدّث به الإمـام عليٌ (ع) عن استاذه العظيم النبي العربي محمد (ص) ..

لكنني أرى على ضوء هذه الشفافية مواقف من الماضي تحير الإنسان في الحاضر ، وتدعوه للتوقف عن السير وتغيير الطريق الذي يسلكه في هذه الأيام ..

- ٧ -

قلت لصديقي : وما الذي يحيرك من مواقف الماضي ،وكيف تريد طريق الحاضر .. ؟

نظر إليّ بعينين تشعان بمعـاني كثيرة من الحب والحزن ، ثم قال :

- ٨ -

خذ موقف ابن مُلجم من الإمام عليّ مثلاً ؛ فالإمام ربّاه وأحسن إليه .. وكان الجزاء ما تعرفه من اغتياله لمربّيه وهو يصلي ذات فجر من رمضان ويحسبه آخرون في الواحد والعشرين منه ، او بين هذين التاريخين ..

لكن المدهش في الأمر ليس نكران ابن ملجم لفضل مربيه وغدره به فحسب .

بل المدهش أكثر من ذلك في موقف الإمام من قاتله :

إذ فتح عينيه بعد الطعنة ، وقال لابن ملجم أهو أنت ، لطالما أحسنت إليك ، وثم أوصى به خيراً ، حتى قيل : انه وصف له اللبن في ساعاته الأخيرة ، ولما قدّمتْ له كأس اللبن شرب قليلاً منها وبعث الباقي الى الذي طعنه ..

- ٩ -

قلت لصديقي : كذلك شأن الكبار والصغار دائماً ، على كل مستوى ..

وحتى على المستوى النبوي ، **فما سَلِمَ الأنبياء صلوات الله عليهم من إساءات الصّغار** ، وتكفي قِصّة السيد المسيح (ع) مع تلميذه الأثير يهوذا الأسخريوطي ؛ فقد غدر به وسلمه الى

يهود فلسطين بثمن بخس .. وشرب يسوع الناصري كأس المشيئة وهو يستغفر لمن أساء إليه .. **وكان نصره الأكبر كما قال ؛ لأنه استطاع الارتفاع الى مستوى التحمل والتسامح** ؛ فقد تحمّل الإساءة من الصغار وتسامح معهم لأنه يَعرف انه ينفذُ مشيئة الله العليا وحكمته الخفية ، وهو يعرف ان الله أرسله لخدمة الخطاة اولاً وأولاً ..

حدّق بي صديقي ، وقال :

– ١٠ –

وحتى هذه الأسرار تحير الأفكار .. وفي الرسالة المحمدية تكرر المأساة ذاتها ، مأساة الكبار مع الصغار ، فمحمد (ص) أنذر وبشر بالاسلام ، والاسلام دين التوحيد ، ولكن المسلمين بعد محمد (ص) فرق عديدة . ومع ان جميع هذه الفرق تقرأ القرآن الكريم وتدين به ، وتَعرف انّ محمداً تبرّأ ممّن يفرّقون دينهم ويتخذونه فرقاً وشيعاً ، كما في سورة الأنعام (١٥٩؛٦) ويعرفون ان هذا التفريق في الدين وفرح كل فريق بحزبه نوع من الشرك كما في سورة الرّوم ..

ويعرفون أن الاسلام يوحد بين الأنبياء وبين المؤمنين .. ومع ذلك لا نرى في سلوكهم ما ينضبط مع روح التوحيد ..

إن المحيّر في الأمر هو هـذا الاختلاف الشديد بين القول

والفعل حتى عند المؤمنين الذين وصفهم الله بقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟

كَبُرَ مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون »

- ١١ -

قلت لصديقي :

إن الله يقرّر إيمانهم من جهة ويقرّر مخالفتهم من جهة ، لعلهم يشدّون حيلهم ليكبروا على ضعف نفوسهم . وسبيل ذلك التذكير والتفكير والفرائض والرياضة .. والصيام نوع من الرياضة التي تساعد المؤمنين ليوحدوا بين أقوالهم وأفعالهم فلا يمقتون الله ..

إن التربية الروحية ضرورة ملحـــة لإنقاذ الإنسان من تناقضاته التي تجره إلى ويلاته ..

يا صديقي .. لنتذكر أن الله رحمان رحيم ، ولنتوكأ على عزم رحمته لعلنّا برياضـــة الصوم والعزم نرتقي فيرحم بعضنا بعضاً ، ونفهم الحكمة من رحمانية الأنبياء وعفوهم عمّن أساء إليهم ، وأمرهم أتباعهم بالمحبة للقريب والعدو ؛ **لأن بذور المحبة ستثمر مواسم محبة . مهما طال الزمن على وأدها بوسائل الكراهية والفرقة .**

قال صديقي : ولكن التربية على المحبة تحتاج منهجاً يوضح أبعاد نظريتها ويدرب على تطبيق النظرية في السلوك العمليّ ..

تماماً كما يدرب الناس على أسلحة الكراهية والتفريق .

أعجبتني تشابيه صديقي وحماسته لأيديولوجية المحبة ، في النظرية والتطبيق ، وابتسمت له ، قلت :

ما رأيك أن نسمي هذا المنهج التربوي الذي تدعو إليه : سلاح المحبة ..

ولكن دعنا نتناول سحورنا ونرتاحْ بعض الوقت ، ثم نعود إلى التفكير لنتناول سحور الفكر بعد سحور الجسد.. وأمامنا يومُ الجمعة .. والجمعـــة لتجمَع بين الأمم .. والسلام على من اتّبـع الهدى .

ورحمة الله وبركاته ..

الفَرَح الثَاني وَالعِشرُون

حقَائق الطبّ وآمال الدّعاء

كنت وصديقي صادق بانتظار شروق الثاني والعشرين من شهر الفرح ، كما خبرنا الصوم هذا العام ..

وكان معي بعض الكتب والأوراق التي تتعلـــق بالسعادة وتجديد الشباب ومكافحة الكسل والضعف ..

وكان مع صديقي المصحف المفسّر ، ومعجم الألفـــاظ القرآنية ، وصحيح مسلم ، وإحياء علوم الدين ، وأوراق فيها خلاصات وخاطرات ..

قال صادق :

من أين نبدأ تأسيس منهجنا ، أو « منهج الأمل بشباب الانسانية الدائم » ؟

قلت : إننا اتفقنا مبدئياً على **اختبار الألوان العشرة** التي تلوّن قارة المغفرة والأجر العظيم ..

قال : تعني : لون الإسلام .. ولون الايمـــان .. ولون القنوت .. ولون الصدق .. ولون الصبر .. ولون الخشوع .. ولون التصدق .. ولون الصيام .. ولون العفة .. ولون الذكر .؟

قلت : هذا ما أعنيه . ولكن ما أفكر فيه الآن ، **هو منهج الحكيم في تحليل كل لون من هذه الألوان ، واستخراج عصيره الذي يساعد في تجديد شباب الجسد وشباب النفس ..**

رَفعَ صادق عينيه وجولها في الفضاء كأنه يَغسلها بالنور .. ثم أخذ نفساً طويلاً كأنه يبحث عن روائح الهداية في الهواء ، أو كأنه يَشم عطور الشباب الدائم تحدّثه لغة الصحة والسعادة في البقاء ..

ونظرت إليه كمن ينتظر مواسم جولته التفكيرية ، وقلت :

وماذا وجدت ؟

فقال ، وكأنما عاد من رحلة طويلة :

هل وازنت بين تأكيدات كتب الطب الحديثة وبين آمال الدعاء ؟ وهل لاح لك من كليهما فجر الشباب الدائم وحيوية الحياة ؟

قلت : وكيف يا صادق ؟

قال : في كتاب « **عش شاباً طول حياتك** » مغامرة أصيلة لاكتشاف ما يؤسس الشباب الدائم . ومؤلفه يؤكد:

« أن العقل لا يتغذى ، فقط ، عن طريق الخلايا العصبيّة

بالعناصر الكيميائية الحيوية ، وإنما يتغذى ، على الخصوص، من مصادر لا جسمية ولا مادية .. أي مصادر معنوية ..

ومشكلة المشاكل في هذه التغذية المزدوجة ، التغذية المادية والتغذية اللامادية، هو أن حل اللغز يؤدي الى القضاء على غيابة الجهل التي نتخبط فيها فيما يختص بالعافية الشاملة للكائن الحي جسماً وعقلاً ..

فلو أننا عرفنا كيف نغذي العقل تغذية مثالية بشطريها لما استعصى علينا شيء في مجال تجديد الشباب وإطالة أمد الحياة ، لأن سيطرة العقل وعوامله على الكائن الإنساني، سيطرة لا محلّ للشك فيها . !

ويحق لنا في ضوء ما تقدم أن نصوغ مشكلة الشيخوخة والعمر الصياغة التالية :

« إن إطالة أمد الشباب ، وأمد الحياة لجسمنا يتوقفان على حالة العقل أو النفس .. وحالة العقل أو النفس تتوقف على سلامة الغدد العصبية ونشاطها، كما تتوقف على تأثير مجهول، حتى الآن ، لعوامل غير مادية .. »

(١٠٥ – ١٠٦)

قلت لصادق :

وهل في آمال الدعاء ما يكشف هذا المجهول المؤثر في شباب الحياة ؟

قال صادق :

ألا تلاحظ في أدعية رسول الله في مفتتح صلاته ، وفي قيامه ، وفي ركوعه ، وفي ختامه ، تحريكاً لجميع العناصر الحسية والعقلية التي عرفتها كتب الطب ، والتي لم تعرفها أو لم تعترف بها بعد ؟

ألا تلاحظ تغذية النفس بهذا الغــذاء المعنوي الذي يقره الطب ولا يضبط مصادره ، في مثل دعاء النبي العربي (ص) :

« اللهم لـك ركعت .. وبك آمنت .. ولـك اسلمت .. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي ..

« اللهم لك سجدت ... سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين..

« اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت ، وما اسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت اعلم به مني.. انت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .. »

قلت : إذاً ، يمكن التوقف طويلاً مع حكمــة الصيام والدعاء في لياليه لاستخراج عناصر الغذاء المعنوي التي يؤكد عليها الطب الحديث ؛ لأن هذا الطب يعلق آمال الشباب الدائم على اكتشاف تنظيم لهذا الغذاء المعنوي للعقل ..

قال صادق : امين ، **ان ما تقوله أمانة إنسانية ، وينبغي أن تؤدى ..**

قلت : غداً إن شاء الله ، نعود الى مختبر الشباب الدائم .. إلى اللقاء . السلام عليكم .

الفرح الثالث والعشرون

الصّيام كالشمس الكونيّة يُفتح القوى

جئنا معاً ، صباح الثالث والعشرين ، صادق وأنا .. وبدأ صديقي ، كمن يتابع حديثاً شهيّاً :

فكرت بألوان قارّة المغفرة والأجر العظيم ، وتأملت بهاء اللون الصيامي ، فرأيته متجانساً مع الألوان التسعة الأخرى.. شعرت ان هذا التلوين المتكامل يمنح الجسم والنفس قوة وصفاء. حسبت أنني أرى الشمس تفتح جفنيها فتنبعث الأشعة لتمنح كل شيء لونه الخاص .. وأحسست أن الصيام يفتـح في النفس والجسد قواهما كتلك الشمس الكونية ..

قلت : ولماذا بدأت بلون الصيام واعتبرته أساس الألوان الأخرى ؟

قال لأنني أختبره ، واقرأ على اضوائه تفتحات كتاب الجسد وكتـاب النفس على مستوى فرديّتي وعلى مستوى صلتي بالآخرين .. وأنا لا افهم حقيقة شيء إذا لم اختبره واحياه بقوى نفسي كلهـا .. ألسنا في صدد البحث عن منهج يختبر فتجد الإنسانية طريق شبابها ، جسداً ونفساً ؟

قلت : تعني أنك تدخل من باب الصوم إلى العبادة التي تمنح القوّة الروحية المؤثرة بالقوى الحسية . ؟

قال : ألم يقلْ صاحب « إحياء علوم الدين » : فالكمال في ان يفهم الإنســـان معنى الصوم ، وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عزّ وجلّ .. » (جـ ١ / ص ٢٣٨)

وهذه التصفية الصومية للقلب والهم تشرح معنى الحديث النبويّ الذي يورده في كتاب اسرار الصوم ، وهو :

قال : رسول الله (ص) : « لكل شيء بابٌ وباب العبادة الصوم .. » (ص ٢٣١)

قلت لصادق :

ألا يمكن اختبار الألوان الأخرى بمقياس الصوم ، مــا دام الصّوم باباً للعبادة ، وما دام الصّوم يمنحنا نعميات مِن الصحة والسعادة ، تذوقناها في الأيام الماضية معاً ، ونحن نتعرف على فرح الصائم في بلاد الفرح ..؟

نظر صادق ، وقد امتلأت نظرته بأمور مختلفة ، ثم قال :

تمهل قليلاً ، لا تربك تفكيري بأسئلتك .. أنا أفهــــم الصوم فريضة جزئية في الاسلام ، فكيف نختبر الاسلام كله بالصوم ؟

قلت : تريد ترتيب الألوان في آية الأحزاب ، إذ تبدأ بلون الاسلام ، لأنهــا تذكر المسلمين والمسلمات أولاً ، وتذكر

الصَّائمين والصائماتِ تأمناً؛وتذكر أنَّ لجميع هؤلاءمغفرة وأجرا عظيماً ..؟

فكَّرَ صادق قليلاً ثمَّ قال :

يبدو أنني أسحب الستائر المسدلة بيني وبين فهم الأشياء .. تمهل .. إصبر عليَّ .. أفكر ان مقصود الصوم تصفية القلب وتفريغ الهم لله .. وهكذا ينبغي ان يكون الاسلام كله ؛ ففريضة الصوم تعني في تركيبتها ما تعنيه التركيبة العامة لنظام الفرائض الإسلامية كلها ..

وافكر أننا تبينا ، جسدياً ونفسياً ، ملامح من الصيام والصوم في ثلاث وعشرين يوماً .. فكيف نكون مسلمين بالطريقة الاختبارية ذاتها ..؟ أعني كيف يكون المسلم مسلماً حقاً ،وكيف تكون المسلمةُ مسلمةً حقاً ؟

ألا يمكن ان تكون اخلاق الصائم هي نفسها اخلاق المسلم والمسلمة مدى العمر ، اعني أن المسلم والمسلمة : لا يصخبان، ولا يلغطان ، ولا يغتابان ، ولا يسبَّان ، ولا يمزقان جسم الوحدة الإنسانية .

باختصار الا يمكن ان يمارس المسلم والمسلمة « بيان الصوم » كما هو في سورة الحجرات ..؟

صَبَّ صادق عباراته صبّاً ، وابتلع ريقه مرات بعدهما كمن يتذوق شراباً شهياً .. وأدركت معه حلاوة الفهم المصفى .. لكنني لم اشأ ان اترك القضية مجملة هكذا ، فكلمتا مسلم

ومسلمة تعنيان التدين بالاسلام · وما الاسلام ؟

أليس الدين عند الله الاسلام ؟

ثم اليس الاسلام انقياد لأمر الله وتفويض الأمور إليه ؟

وبهذا المعنى.. أليس الأنبياء السابقون مسلمين وتابعوهم مُسلمين لله ؟

وعند ذلك ألا تكون رسالة النبيّ العربيّ (ص) تجـــدداً للرابطة بين الله والإنسان بإسلام الإنسان للهِ ، انقياداً وتفويضاً واستسلاماً ؟

فكرت ، بصوت مسموع ، أمام صادق ، بهذه الأفكار .. فرنا إليّ ، حالة تفكيري ، ولما توقفت عن التفكير المسموع ، قـال :

أليس هذا ما تعنيه آية الصّوم في سورة البقرة ، فالصّوم مكتوب على أمّة محمد (ص) كما كتب على الأمم السابقة ؟ وهذا ألا يعني أن الله الأحد يهتم بإنسانه الواحـــد ، في كل العصور والأمكنـــة ، فيريده استمرار قوة مبدعة ، على صعيد حسيّ وعقليّ ؟

ألا ترى ان فرح الصّيام يُلون قارة الأجر العظيم والمغفرة كلّـهـا ؟

قلت : نرى ذلك غداً ، إن شاء الله . إلى اللقاء .

والسلام عليكم

الفرح الرابع والعشرون

كيف أختبر كلمة "إسلام" وأستخرج إكسير الشباب ؟!

كان صادق ، صبيحة الرابع والعشرين ، يستعد لاختبار لون الإيمان على ضوء فرح الصائم ، أو منهج الأمل بشباب انسانية دائــم ..

حييته ، عندما وصلت ، فردّ التحية متمهلاً كمن يفكر بما يقول .. أردت أن ابدأ الموضوع من التحية ، غمدت السلام بموسيقى صوتية خاصة ، وردّ عليّ بمثل التجويد : وعليكم السلام ..

نظرت اليه ونظر إليّ ، وكأنمــا فهم كل منا ما يريده الآخر ، ثم قال :

لكنني كنت افكر بلون الإيمان في بلاد الفرح ..

قلت : وهل غيّرت تفكيرك ..؟

قال : شعرت انك تسحبني في تحيــة الإسلام الى التأمل بكلمة « إسلام » .. وفكرت أنهــا تتطلب اختباراً أطول ممّا أعطي لها ، فهي إسُّ العلاقة بين الإنسان وربّه ، هي الأساس الذي تـُبنى عليه جميع أنواع العلاقات الأخرى ..

وأفكرُ أعمق فأكتشف فيها إسّ الحيـاة الإنسانية وسرّ شبابها ودوامها ..

فالإسلام انقياد لله وتسليمٌ ، على صعيد التكوين العميق ، « انْ كل من في السماوات والأرض الا آتي الرحمان عبدا » ، كما في الآية الثالثة والتسعين من سورة مريم .. وهي أول السُّور التي تحدثت عن الصّوم بترتيب التنزيل ، وفيهـــا فُتحت لنا آفاق واسعة لصوم العُمْر ..

وهنا أشعر بإسلام العمق ، فعبوديّة العبد لربه انقيـــاد، وتسليمٌ ، وهذا هو تحديد الإسلام حسب ما يستنبطه معجم الألفاظ القرآنية من آيات القرآن الكريم ..

فكـّرت بأفكار صادق ، وحاولت ان أسحبها الى الشواطىء القريبة ، فقلت :

لكنك صرت فيلسوفاً يا صادق ، وتجاوزت بتأملاتك ما ينبغي ان تقطعه خطوة خطوة ودرجة ًدرجة ..

كان عليك ان تجمع أحاديث الإسـلام من صحيح مسلم مثلا .. وأن تجمع الآيات الواردة في القرآن الكريم عن معاني الاسلام وانواع المسلمين ، لتكتشف الطبقات والدرجات، وتستمتع بالآفاق والأعماق، وتعرف إن الاسلام الذي وصف بأسلام الأعراب المجرد من الايمان القلبي ليس كإسلام الأنبياء ومتابعيهم حقاً ؛ بل ليس الاسلام الشكلي إسلاماً يجمع أوصاف الاسلام كلها ..

فقد اورد مسلم في صحيحه خبر رجل جاء فسأل الرسول (ص) عن الاسلام الجامع لأوصاف الاسلام ، قال ، قلت :

« يا رسول الله قل في الاسلام قولاً لا أسأل عنه احداً بعدك ، قال (ص) :

« قل آمنت بالله فاستقم » ..

ونظر صادق إلي كمن يستكبر امراً او يستعظم قضية ، وقال :

لكن اختبار كلمة « اسلام » بهذه الصورة يتطلب منا وقتاً طويلاً ؛ وسنرى للكلمة تشعبات وإثارات واتصالات بمعانٍ اخرى ، وكل معانيها تتجاوز مرحلة الكلمة الى مرحلة الفعل . ان هذا اختبار يشبه الصوم مدى العمر ..

فابتسمت لتموجات افكار صديقي وقلت :

لكنك تبحث عن : منهج الأمل بشباب إنسانية دائم ، ومنهج من هذا النوع يتطلب جهداً ووقتاً ، ويستحقهما :

فهز صادق رأسه بالموافقة ، لكنه نظر الى السماء وتأمل الفضاء وأخذ نفساً طويلاً ، كمن يريد التخلص من شيء يحبه ؛ فإن جواذب هذا الشيء تجذبه إليها ، لكنه لأمر يريد التفلت منها ؛

احببت ان اخلصه من هذه الحالة ، بين الدفع والجذب ، فقلت :

لو اعفينا انفسنا ، اليوم ، من جمــع الآيات والاحاديث المتعلقة بكلمة « إسلام » ، ووقفنا مع هذا النص القصير الذي ذكره مسلم في « باب جامع اوصاف الاسلام » ، فكيف نختبره بمنهج الحكيم ، ونستخرج منه إكسير شباب دائم للانسان ، على صعيد الجسد وعلى صعيد النفس ..؟

فشهق ثم زفر ، وقال :

تعني قول النبي العربي (ص) :

« قل آمنت بالله فاستقم »

قلت : نعم ، هذا ما اعنيه .

قال : ارى فيه وجهي الحياة : النظري في قوله .

« قل آمنت بالله » .. والعمــلي في قوله : « فاستقم » .. والايمان بالله يعني تصفية القلب وتفريغ الهم مما سوى الله ، والاستقامة تعني السير على صراطه المستقيم ، تنفيذاً لأوامره وانتهاء عن نواهيه ..

اما ما يمكن ان يكون إكسير قوة وشباب دائم للانسان ، فلأن المؤمن المستقيم يفكر ويعمل بهدى الحي القادر دائماً .. واظن لديك اكتشافات اخرى لسر الشباب الدائم في اختبار حديث يجمع اوصاف الاسلام . وتلــك امانات ، فهل تؤدي الأمانات الى اهلها ؟

قلت : غداً ان شاء الله . الى اللقاء . والسلام عليكم ..

الفرج الخامس والعشرون

كيف يتفتح الإيمان من الإسلام ؟

جئت صبيحة الخامس والعشرين قبل صديقي .. كنت اعرف انه سيتأخر هذا الصباح ، لأن نخوة عقله ومروءة نفسه ستحملانه على احياء الليلة السابقة ليجمع الآيات والأحاديث المتعلقة بكلمة « اسلام » ، ويدرس ما بها من قوة تنفع الإنسان في مغامرة الشباب الدائم ، ويعرف صلة ذلك بفرح الصائم ..

فكرت بمزايا هـذا الصديق ودوافعه النبيلة الى البحث والمعرفة والعمل ، فهو مثال يُعجبك في سرعة اختباره للكلمة ، اسمه صادق . يسأل نفسه ، ماذا تَعني هذه الكلمة ؟ وعند ما يَعرف معناها بوضوح وتميز يَعمد حالاً الى احسن ما يمكنه من تطبيقها عمليّاً ، فيمارسُ الصّدق مع كل من لهم صلة به .

واوّل ما يمارسها مع نفسه انه يحب ان يكون نفسه وان يمارس الصدق مع نفسه .. ويشعر ان ذلك امانة ، والأمانـة تؤدّى الى اهلها .

مراراً حاورني في الأمانات التي اودعهـا الله في النفوس البشرية لتؤدّى في ترجمتها افعالاً تخدم البشرية ..

وطالما جادلني بآيات من سورة المجادلة ، وطالبني ان أشرح له الآية الثانية والعشرين منها ، التي تصف المؤمنين بقوله تعالى :

« أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ؛ أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون .. »

إنّ صديقي صادق يمثّل الأمانة والإخلاص ، ويقول : إننا من هذه الأمة المؤمنة التي كتب الله في قلوب أبنائها وبناتها هذا الإيمان وايدها بروح منه ..

وطالما كان يضغط على هـذا التأييد ، ويعتقد انه سرّ الحلقة المفقودة بين الكلمة والفعل في امتنا ، بل يعتقد ان قراءة كتاب الإيمان في النفس والتسلح بتأيد روح الله هـذا جناحا الإنسانية إلى شبابها الدائم .. ولكن كيف نقرأ كتاب الإيمان الذي خطه الله على قلوبنا المؤمنة ؟ وكيف ننتقل من القراءة الى الفعل فنضع اسرار الإيمان في تصرف الانسان كما وضعت اسرار الكهرباء في الاستعمال ؟

كنت افكر هكذا عندما وصل صادق ، وحيّاني ، واندفع إلى الحديث بحماسته التي اقرأ فيهـا : الصدق ، والأمانة ، والإخلاص . . اقرأ في مزاياهـا خصائص احبها من امتنا المؤمنة الخالدة بإيمانها ، الراضية المرضية ..

وعند هذه القراءة تَشرد بي الأفكار الى بلاد الفرح وقارّاته والوانها العشرة التي تختبر تفاعلاتها في النفس واصباغها في الكون قال صادق :

أتعرف انك لم تسمح لي بالنوم ، هذه الليلة ، فقد احييتها حتى مطلع الفجر..؟

وابتسمت قائلا :

وهل رأيت ليلة القدر ..؟ فقد حُدث عن النبي العربي (ص) انه قال :

« من كان ملتمسها فليلتمسها في العشر الأواخر » .

ضحك صديقي وقال :

لقد قدر علي ان أكون في مختبر الحكيم لاكتشاف سر الشباب الدائم في فرح الصائم .. ولم أفكر بليلة القدر حتى الآن ، لكنني في هذه اللحظات افكر بها ، وأسأل: ترى لو رأيت ليلة القدر فهل اكتشف سرّ الشباب الدائم الذي يغذي النفس فيجدد الجسد ويمنح الانسان حيوية ونشاطاً دائمين :

قلتُ : إسهر لتلك الليلة الآتية ، أما الآن فأخبرني لماذا لم تنم ليلة البارحة ؟

قال : لأنني بحثت ما يتعلق بكلمة « إسلام » من آيات واحاديث ، على ضوء منهج الحكيم في فرح الصائم والشباب الدائم ؛

وعرفت أن « الاسلام » إس التفتحات اللونية الأخرى ، اي هو قوتها التي تدفعها الى التفتح ..

والايمان نفسه تفتح من الاسلام ، بالمعنى الذى كشفتـه ، فالايمان هو الاقرار باللسان .. والاذعان والتصديق المطلـق بالقلب ، ولذلك جمع النبي اوصاف الاسلام بقوله : « قـل آمنت بالله فاستقم » ..

فأعطى معياراً للاسلام فهو نظرية وتطبيقاتها العملية ، كما هو واضح في بيان الصوم الذي يستنبط من سورة الحجرات ..

قلت : وهل تأملت آيات الإيمان واحاديثه وقرأتها قراءة الحكيم لتجعلها مادة اختبار لضبط الشباب الدائم ؟

قال : سأحاول ذلك غداً ، إن شاء الله .

إلى اللقاء .. والسلام عليكم ..

الفَرَح السَادس وَالعِشرُون

تفتحات الصَّدَاقة

سبقني صادق صبيحة السادس والعشرين ، ومشى للقائي مسافة عن مكان اللقاء ، وحيّاني بصورة تكاد تختصر ما في المحبّة من مزايا النبل الانساني ..

لم يكن غريباً من صادق أن يكون لائقاً ومخلصاً ، فاللياقة طبعٌ فيه كطبع الرقة في الماء؛ والإخلاص أمانة الله التي يقدّسها ، فيخلصُ لأمته ويحفر في أعماق نفسه ليفجر منها منابعَ الخير لأمته وللناس جميعاً، لو استطاع الى الناس كلهم سبيلا ..

لكن تحية اليوم تشع بألوانٍ جديدةٍ ، تتجاوز النضاء الذي كنا نطير به في لقاءاتنا السابقة ؛ فقد كانت صداقتنا تتفتّح حباً وتسامحاً وعفويةً واحتراماً وتقديراً ؛

إنّ في تحيّة صادق أمراً غامضاً وشفّافاً كضمير البلور ، واضحٌ وقريبٌ لكنّه عميقٌ وبعيد ..

وأخرجني صادق من تأملاتي عندما قال :

سيّدي ، احبُّ أن اعترف لك عند الصّباح بأمر ، اشعر انني مدين بانشراح صدري لقوى في نفسي كانتْ غائبة عني ..

كنت أظنُّ قراءة كتاب امراً لا يبلغ مع كثرة الأعمال وزحمة الحياة .. وكنت اظن ان قراءة الجسد والنفس من الأمور التي لا تستطاع ..

لكن منهج الحكيم الذي اخذت بيدي لتنفيذه ، جعلني اتخلص من اوهامي ؛ ان ثقتك بي فجرّتْ في نفسي انوار فجر من القوّة والصحّة والسّعادة ؛

اشعر بغبطة الفرح والطمأنينة ، واحسب انني احيا فيما تسميه : فرح البلاد الأمينة ..

لقد عدت بالأمس وانا اعتقد صعوبة في تحقيق اثاراتك ؛ كيف اقرأ ما كتب عن ليلة القدر ؟

كيف اقرأ ما كتب عن الايمان ، او على الأقل ، كيف اجمع في ليل من رمضان آيات الايمان واحاديثه ؟

وكيف أبوّب معانيها ، لتكون متسلسلة متدرجة من القاعدة الى القمّة ..

لكنني فكرت بك واستعدت لهجتك الواضحة الهادئة .

فقد طلبت ذلك مني ، بصيغ مختلفة ، لكنها جميعها تبوح بالاطمئنان كما تبوح ورود بعطر الصباح .. قلت ذلك كأنه شيء طبيعي لا صعوبة فيه ولا مشقة .. وأنا امام ثقتك بي أنحني حباً لكنني اشمخ اعتزازاً فأحسبني عملاقاً ..

أمام هذه المشاعر ، انجزت اعمال النهار بنصف الوقت الذي كنت انجزها به ؛ فقد وضعت في تفكيري ان اعمالي

النهارية ليست كل اعمالي ، وتدفق بي نهر من القوة العامرة . وتعجبت كيف كانت تنقلني تلك الاعمـــال طوال النهار في الماضي .. وفكرت : مـــاذا اصنع بما اقتصدته من الوقت ؟ أأقرأ ماطلبته مني في مكان العمل .. ؟ كلا فذلك وقته في الليل .. وبدا لي ان رفاقي في العمل كتب اخرى ، والدنيـــا صوم .. فلماذا لا ادور بينهم كما تدور نـسمـــة بين الأزاهير ، فأحركهم بما أشعر به من القوة ..

وسرحت بينهم ، وكنا في منتصف اليوم ، وبيننـــا وبين الانصراف وقت غير قصير ، يعني نصف وقت العمل .. فماذا وجدت ؟

لقد وجدت رفاق العمل كزهور لم تسق هذا الصباح ، بعضهم يجلس جلسة متراخية ؛ وآخر في شبه حـــلم ؛ وثالث يحمل اوراقاً بيديه وليس له شهيّة التأمـل فيها .. وألوان وألوان من المشاهـد ، لكنها ليست كألوان بـلاد الفرج التي ألفناها في فرح الصائم هذا العام .. فماذا اعمل ؟

لقد حييت : صالحاً ؛ وسألت سليماً عن عمله ؛ واستأذنت صالحة ان اساعدها لأنني انجزت كل اعمالي ؛ واثنيت على ما انجزته سالمة من عملها المتقن ..

يا الله .. ماذا حدث ..

لقد تغيّر الجو تماماً ؛ لقد هب الجميع من استرخائهم كأن

كهرباء النشاط سرت بأعصابهم ..

ولا استطيع تقدير الفرح الذي قطفته من حركات هذا اليوم .. ولعل مواسم الليل كانت ادنى قطوفاً ، فقد شعرت ان حقائق الايمان تجذبني اليها جذب الأحبة ؛ وشعرت معاني ليلة القدر تتزين لي بأجمل اثوابها ..

كيف انتهى كل شيء بهذه السرعة ، ونمت مبكراً ؛ وتعجب ان احلامي نفسها كانت من هذا الطراز المدهش من الحيوية والسعادة .. وفي كل احلامي كنت اشعر ان منهج الحكيم هو الذي اوصلني الى بلاد الفرح في شهر الصوم . وقلت لماذا لا يتعلم المعلمون منهج الحكيم فيكونوا صانعي اجيال عظيمة ؟

شكرت لصديقي هذا الثناء ، واعتذرت عن الكلام الى الغد ، ان شاء الله .. الى اللقاء ..والسلام عليكم .

الفرح السابع والعشرون

الصِّيام وَالتعليم تصفيَة واكتِشاف مواهِب

جئت صبيحة السابع والعشرين قبل صديقي ، وفكرت أن اجعل مجيئي المبكر تحية شاكرة لتحيته الوفية بالأمس ..

لقد منحني وفاؤه سعادة جدّدتْ في خاطري أموراً كنت أنوي تجاوزها الى غيرها ، ممّا اسميه حياة أعلى .. وأوحت حماسة صادق لي أسئلة وأسئلة :

ما هي الحياة الأعلى ؟ أليست الحياة التي ترفع بها إنساناً الى جبال نفسه حياة أعلى ؟

آه ما أروع الارتفاع الى جبال النفس لأنّ ذلك يمنح وديانها وسهولها وجوداً أجمل .. ! ان مَن يرتفع الى جبال نفسه يرى مناطق وحدائق لم يكن يراها من قبل .. انه يكتشف مواهبه ، وما المواهب ؟

أليست قوى الانسان التي تمنحـــه القدرة على التجدّد ، وتعطيه فرص الشباب الدّائم ..؟

انّ الحياة الأعلى هي هذه الحياة المحرّرة . ان تحرّر انساناً من قيوده ، وتضع عنه أوزاره ، وترفـــع الستائر بينه وبين

اسراره التي بها يكون انساناً .. تلك هي الحياة الأعلى .

وجاء صادق ، وحيّاني بفرحٍ واعتـــذار لأنه لم يكن بانتظاري ، وقال :

كنّا نفكرُ بالقيام برحلة الألوان الى قارة المغفرة والأجر العظيم لنتعرّف مواسم :

الاسلام ، والايمـــان ، والقنوت ، والصدق ، والصبر ، والخشوع ، والتصدق ، والصيام ، والعفة ، والذكر ..

كنّا نحلم بثمار تلك الجنة في بلاد الفرح؛ لكنني بعد رحلتي : الاسلام ، والايمان ، القصيرتين عبر مركبة الصيام.. بدا لي امر جديد ..

قلت ، مستبشراً :

وأي يوم لم يَبد لك فيه أمر جديد؛ ان قارات نفسك ملأى بمواسم التجـــدد ، وفي كل فصل تتفتح في صميمك نعميات واعطيات ، لك وللناس ؛

قال ، شاكراً :

ان الذي افكر فيه ، يتفتح من معنى ملاحظتك بصورة أُخرى . اعني ان صميم الانسان اغنى بكثير ممّـا نتصوره . والتعليم الحقيقي ينبغي ان يكون مثل الصوم في توجهـه الى تصفية القلب وتفريغ الاهتمام لله ، اي لمـا أهوى اعلى واقوى وابقى ..

ان فرح الصائم..يجيء من فهم الصوم بمنهج الحكيم ، ولماذا يفرح الصائم وكيف ؟

انني أشعر هذا الصباح ، برغبة الاستمرار ، مدى العمر ، في اختيار القوى الجسدية والنفسية في ؛ وإن ما كتبه اللّٰه في كتاب نفسي يستحق هذا الاستمرار في تأمله وتفتيحه ..

الا تذكر بيان الصوم في الحجرات ، وقوله تعـالى يصف المؤمنين :

« كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه .. » ؟

قلت : اظنك فطنت لهـذه الكتابة على القلوب ، والقلب يعني الصّميم ؛ والإيمان يعني الالتزام بالله ، وبكل ما يطلبه منه ، وقد سخّر له السماوات والأرض وما بينهما .. ان هـذه الكتابة تُحمّل الإنسان مسؤولية الثقة .. الله يثق بالإنسان المؤمن فيكتب في قلبه الإيمـان ، والمؤمن يثق بربّه لأن ربّه يؤيده بروح منه ..

وأنا اتصور هذا الروح المؤيد يمنح الإنسان سرّ التفتح على شبابه الدائم ، جسماً ونفساً ..

نظر اليّ صادق ، كمن عاد من الغوص في بحر عميق ، وقال :

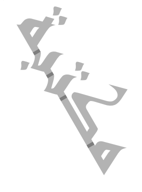
لقد كشفت لي كلماتك في معاني القلوب ، ان قوى الإنسان في الدّاخل ، وان صميمه هو منبع الأسرار ، وخزّان كتابة

اللـّه، اي مستودع الذّخيرة العظمى لمواجهة الحياة .. وربطت بين هذا وبين الغاية من الصيام التي هي تصفية القلب .. ولماذا يصفّى القلبُ ؟

أليس ليكتشف الصائم ما به من قوى أودعها الله فيه ؟

إن اكتشاف هذه القوى هو غاية افتراض الصيام والصوم ؛ وبما ان الصوم لون يبسط أجنحة الفرح على قارة الأجر العظيم..
فإن اختبار الصوم أوصلني الى نتيجة تربوية ؛ وهي : ان التعليم ليس حشواً خارجياً ، بل هو تصفية داخلية ، تجعل الأجيال في سفر دائم الى بلاد الفرح .. لكنني لا أزال أطالبك بكيفية مبسطة يستطيع المعلمون اختبارها ذاتياً ومع الأجيال، لنكون خير امة فعلاً ..

قلت : ما رأيك ان نفطر اليوم معاً ، ونفكر بالأمر ؟؟



الفَرَح الثامِن وَالعِشرُون

الثّورَة الرّوحيّة ثروَة إنسَانيّة

لم يبق من شهر رمضان سوى هذا اليوم ويومان آخران .. لقد ألفت فيه الجوع، وصادقت التفكير باكتشاف سر الشباب الدائم .. لقد كنت وصديقي صادق في حوار دائم نبحث فيه عن منهج الأمل بشباب الانسانيّة ؛ ونختبر فيه منهج الحكيم لاكتشاف الفرح الصّومي في شهر الصّبر ..

واستطعنا ان نحرك أغصان شجرة العطر بالفكر ، وشممنا من أطياب القيام والصيام ما يجعلني أشعر بنوع من الصعوبة في التخلص من ذلك الجوّ الصّافي الذي نحيـاه من سبعة وعشرين يوماً .. لقد صادقنا فيه أنفسنا ، وعرفنا أسرار من قلوبنـا ؛ فنحن قلما نفكر بأسرار نفوسنا ؛ اننا ننطلق الى العالم الخارجي ولا نتعمق في فهم العالم الداخليّ من حياتنا ..

لكننا تعلمنا ان منابع القوى في نفوسنا ؛ وعرفنا كيف نبحث في عروق الجوع عن عصير الصحة والسعادة ..

كنتُ أداعب هذه الأفكار ، وأنا أقوم بأعمالي التي قررّت عملها هذا النهار . . وانتهت أعمال النهار بسرعة ، وصحّتْ بي

لعبة النشاط التي يمنحها الصوم .. فالصيام يجعل الإنسان خفيفاً نظيفاً ؛

عدت الى ما أنجزته من عمل لأتأكد أنني أحسنت في انجازه، وأعدت النظر في منجزات اليوم أكثر من مرة فتأكدت انها أكثر اتقاناً من مثيلاتها في الأيام التي كنت اقضي ثلاثة اضعاف الوقت لإنجاز مثلها ..

فسجلت واحـــدة من ملاحظات الاقتصاد ؛ وانتقلت الى التأمل بالأفكار التي تداولتهـــا مع صادق على « قارة المغفرة والأجر العظيم » ؛ وقرأت عناوين الكتب التي كانت تنتظرني غير القرآن الكريم وغير صحيح مسلم : طريق السعادة .. فن التفكير .. عش شاباً طول حياتك .. العلاج بعشب القمح .. الإيحاء الذاتي .. احياء علوم الدين .. ويدخل بيني وبين كتبي وتأملاتي صديقي صادق ..

كان موعد الإفطار قد اقترب ؛

وسألته : مبتسماً ، هل جعت اليوم ؟

وضحك لسؤالي ، وقال :

وهل يجوع من يكون صائماً حقاً ؟

تناولنا افطاراً خفيفـــاً ، وأعدنا سيرة الليلة الحادية والعشرين ، فأرحنا انفسنا بصلاة التراويح ؛ ودعونا بأدعيـــة رسول الله المشهورة في قيامه الليل بمثل هذه الليـــالي من شهر الصوم ..

واتخذنا الآيات القرآنية التي ذكرت الصيام للقراءات بعد الفاتحة في الركعات ..

بدا لي تلك الليلة أن بين الآيات التي تذكر الصيام آيات أخرى تتعلق به ، وتشرح لوازمه ..

وعندما فرغنا من الصّلاة، سألت صادقاً حول هذه الملاحظة، وهل خطر له شيء من هذا ..

فكر قليلاً ، ثم قال :

أذكر شيئاً من هذا ففي سورة البقرة آية التهلكة أو البخل .. فهي قبل الآية الأخيرة التي ذكرتْ بها لفظة الصيام ..

قلت : تعني الآية الخامسة والتسعين بعد المائة :

« وأنفقوا في سبيل الله

ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا

ان الله يحب المحسنين (٢ : ١٩٥)

ففي هذه الآية ملمح رمضانيٌّ مثير ..

وعند كل إثارة يفكر صديقي بالثورة ، في أي موقف كان. لكن ثورته الروحية ثروة انسانية يحاول ان يضعها في أيدي أصحابها شباباً دائماً وفرحاً للصائم وسعادة للأمة ، وخيراً عاماً للإنسانية ..

نظر اليّ ، وقال :

فهمت ما تريده .. فالآية تأمر بالإنفاق في سبيل الله ..

وتربط بين عدم الإنفاق هذا وبين الهلاك ؛ فكأن الهلاك ثمرة البخل ؛ .

قلت : ولماذا لم تلاحظ تتمة الآية ؟

ألا ترى أن في الآية أمرين بينهما نهي ، ثم يجيء الخبر المؤكد ؟

فالأمر الأول : وأنفقوا في سبيل الله ؛ هذه هي المادة . ينبغي ان تصرف الأموال في سبيل ما هو أعلى ..

والأمر الثاني : « وأحسنوا » ؛ وهذا الأمر هو المنهج الذي ينبغي اتباعه للوصول الى الغاية من الانفاق .

والغاية المرجوة من الأمرين تظهر في النهي والخبر ، وهي غايتان : الأولى سلبية ، لدفع الهلاك عن الأمة .. والثانية : ايجابية ، لجذب محبّة اللّه ..

هتف صادق :

ان انفاق المال بإحسان ، منهج اقتصادي يحمي الأمة من الهلاك في الدنيا ، ويرفعها لتكون محبوبة الله ، في الدنيا والآخرة .. ومحبة الله للإنسان تمنحه سعادة وشباباً دائماً . فكيف نحول الكلمة فعلاً ونجعله منهج تعليم ؟.

قلت : هذا شأنك دائماً تريد ان تصطاد معاني الكلمات لتجعلها أعمال انقاذ ومحبة .. نرى ذلك بعد السحور ..

الفَرحُ التَاسِعُ وَالعِشْرُون

جَنيُ ثِمَارِ الصَّوم

افترقنا بعد صلاة الفجر ؛ فنام صادق بعض الوقت ؛ وقمت برياضتي الصباحية المفضلة ، مشيت بعض الوقت .. ثم حركت يدي ورأسي وعنقي وصدري وقامتي وساقي .. وكنت اتحدث الى هذه الأعضاء وانا احركها وتحركني .. فأشعر معها كما لو كان لكل منها شخصيـة مستقلة ذاتيـاً ، لكنها متعاونة مـع سائر الاعضاء .. وصرت اعرف مزاجها فهي تحب الأفكار الصحيحة المنظمة .. النظام بالنسبة لها هو قاعدة الله التي سنها الله لها..فالقلب بني نظامه على القبض والبسط؛ بالقبض يسرح فطيـع الكريات الحمر والبيـض في انحـاء الجسد ؛ وبالبسط يستدعيها لينظفها ويبعثهـا قوية نظيفة من جديد .. وجهاز التنفس بني نظامـه على الشهيق والزفير ؛ بالشهيق يمتـص روح الهواء المريحة المحيية ؛ وبالزفير يعيد الى الهواء ما اعطاه ليجدده وينظفه ، فكأن الفضاء قلب كبير ، وكل إنسان عضو الجسد الكوني الكبير ، كلف الفضاء ان يستوعب دم الحياة ، فيعطيه ويستعيده ؛ ودم الحياة الاغزر هو الهواء !

ان حركة القلب ، قبضاً وبسطاً ، في شرايين الجسد

الانساني واوردته .. صورة مصغرة لحركة الفضاء ، في الشهيق والزفير ، تمنح الانسان غذاء يحييه ويخلصه من فضلاته ..

كنت اتأمل في هذا الانسجام بين ما يجري في صميم الانسان وفي صميم الكـون .. واتحدث الى نفسي .. كما اتحدث الى جسدي، كمن يقرأ كتاباً كبيراً.. أو كمن يحاور ابطال مسرحية حية ..

انهيت رياضة الجسد بالحركة .. ورياضة النفس بالتأمل ..

كان صادق قد استيقظ منشطاً ، كمن يعود من رحلـة ممتعة ..

نظرت اليـه ، وقلت لنفسي : لقد جاء دور الامتحان الأكبر. ثم ابتسمت وقلت له:

صادق :

لقد اتممنا اربعة اسابيع صيام ، ولم يبـق من رمضان إلا اليوم وغد .. فما رأيك باختبار الحكيم الحي ، لمـا تفتح في النفس والجسد خلال أيام الأسابيع الأربعة ؟

نظر صادق نظرة عميقة ، وهزّ رأسه قائلا :

من أحسن التفتحات الجسدية ، أنني تخلصت مما كنت اعانيه من اوجاع في معدتي وامعائي ، ومن ألم في صـدري ، ومن صداع في رأسي ..

كنت اخفي عنك هذه الأمور ، وذلك ما كان يدعوني

للبحث عن السر الشافي ، وقد وجدته عملياً في التزام الصيام ، هذا العام ..

ومن احسن انتفتحات النفسية ، انني تخلصت من كثير من الأوهام الاجتماعية ؛ لأنني فهمت ان حذف وجبة اساسية من وجبات طعامي كل يوم زادني نشاطاً وحيوية وصحة .. ونقلت ذلك إلى الصعيد الاجتماعي والثقافي ، فعرفت ان كثيراً مما تحشى به عقولنا من افكار وعادات ، يمكن حذفه .. وبحذفه نتخلص من امراض كثيرة تؤذي النفس والروح ؛ كأمراض الغيبة فتكاد الغيبة ان تكون شرابنا المفضل في كل مجلس ، حتى بعد صلاة الجمعة ، لا يسلم الخطيب من ألسنتنا.. وحتى بعد تناول الافطار عند احد اصدقائنا،فلا يسلم طعامه وذوق زوجته من السنتنا.. وحتى اهلنا ، فإننا نغتابُهم ..

سبحان الله ، كيف نعيش على موائد محرمة من لحم الإنسان بالغيبة ، حتى لو كنا صائمين عن الطعام المحلل ..

وقِسْ على مرض الغيبة ، أمراض المجتمع الأخرى،كالكذب والافتراء ، والنفاق ، والأدعاء ... الى آخره ..

ان الله شفاني من هذه الأمراض عندما التزمت منهج الحكيم في تأدية الصيام والصوم .. وتذكر أنني كنت أشطُّ أحياناً لأقع في اغراء عادة الاغتياب ، فتذكرّني بلطف المعلم المحب لتعيدني الى نظام الصيام والحكمة منه.. ولا أنسى تلك المبارزة

التي اقنعتني بها أن نظام الدفـــع بالتي هي أحسن ، هو أحسن الأنظمة للاحتفاظ بصحتنا الجسدية ، والاحتفاظ بأصدقائنا ، ولتوجيه أبناء امتنا الى ما هو احسن .

ومن التفتحات المسعدة ، تلك التي نقلتني الى بلاد الفرح بفضل الفرائض الدينية ، فما كنت أحسب الدين شامل التنظيم للجسد والنفس بهذه الصورة المدهشة، فهمت ان الدين بجوهره ، نظام لنفع الانسان ومنحه صحة الجسد وسعادة النفس وشباباً دائماً يتنعم به بالمقدار الذي يستطيع فيه تنفيذ حكمة الدين..

ومن التفتحات الصومية ان خير منهج للتعليم هو خلـــق الرغبة في التعلم .. ولذلك لا ازال الح عليك ان تضع كيفية لهذا المنهج المرغب الذي ينقل اجيال امتنـــا الى بلاد الخير والفرح ..

قلت : غداً نحاول ، إن شاء الله. الى اللقاء . السلام عليكم .

الفَـرَح الثَّـلاثُونَ

التعليم المستمِرّ لتحقيق منهج الأَمَل

جاء صادق ، صباح اليوم الثلاثين، مبتهجاً ؛ حيّاني بصورة من كان غائباً فعاد ، أو بشكل تلميذ يجيء أول يوم في العام إلى المدرسة ، او الجامعة .. او كأنه جاء يستلم وظيفة جديدة في مكان يزوره لأول مرة ..

وقابلت صادقاً بما يشبه تصرفه ، حتى أوشكت ان أسأله عما يريده ..

والتمعت عيناه بالضحك والفرح ، وقال :

سيدي امين ..

جئت لتعطيني برنامـــج الاستمرار في فرح الصائم ؛ أنني أشعر برغبة دافقة للتعلم ، أحب أن أتعلم كل آية من آيات القرآن بصورة حضاريـــة حديثة .. أحب ان ادرس كل حديث نبوي بصورة علمية نافعة .. أحب منهج الحكيـــم الذي خلق بي رغبة التعلم المستمرة .. واحبك احبك انت يا أخي وصديقي واستاذي ..

لقد فكرت بهديـــة اقدمها لك في عيد الفطر ، فلم أجد

شيئاً يساوي ثقتك بي ومنحك اياي الوقت والتشجيع لأكون ذا وجود حقيقي ..

لذلك فكرت ان أقدم لك حبي هدية .. وانا اعرف ان الهدية الخالصة تقدم مجاناً وبدون ثمن ، لكن محبتي لك لم تكن بلا ثمن، لأنها جاءت ثمرة من ثمار هدايتك لي .. **وانت تعرف معنى ان يُهدىَ إنسان الى نفسه وان يتعرف الى بلاد الفرح فيها** .. انت تعرف قيمة ان يهدى انسانٌ الى جسده وان يضبط مقاود نشاطه وان يعرف كيف يدفق مخازن حيويته عند الحاجة ..

انك يا سيدي الامين وضعتني في طريق السعادة والشباب الدائم ..

فشكراً لك الف شكر ..

نظرت الى عيني صادق ، وقد امتلأتا بما يعبر عن صدقه ، ووفائه ؛ فكلمات صادق ، كما خبرتها ، تعني تفتح الربيع في بلاد الفرح .. وقلت :

إنني اثق بك كثيراً يا صادق ، وهذا تعرفه جيداً .. واثق بمواهبك وقدراتك التي لا تُحد .. لكنك اليوم .. وتوقفت عن الكلام ،لأن غصة الحنان والحنين قاطعتني .. ثم تابعت كلامي ..

صادق ، انك اليوم خيبت ثقتي بذكائك .. قلت هذا

وكتمت ابتسامتي .. عفواً .. اعني خيبت ثقتي بحكمتك ، لأنك لم تضع الأشياء في مواضعها الصحيحة ..

لقد نسيت الاتجاهين الآخرين في شكرك :

كان ينبغي ان تعيد الفضل الى صاحب الفضل .. فالله سبحانه هو الذي وهَبكَ مواهبكَ لتستطيع تلقي المعرفة ، ولتمتلك الرغبة الدائمة في البحث والتعلم لنفعكَ ونفع الإنسانية ..

فالشكر لله أولاً وأولاً وقبل كل شيء ..

وكان ينبغي أن تعرف صاحب الفضـــل في تنظيم معرفتنا بفضل الله علينا ..

إن رسول الله ، النبيّ العربي (ص) هو الذي جاهد في الله لتبليغ رسالته ، وتعليمنا كيف نتفكر في آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا .. وصبر علينا قديماً ، حتى جعل من آبائنا القساة قلوباً ترحم الجمـــاد والشاة .. وتعرف من سيرته (ص) ومن أحاديثه أي مُعلم هو ؛ **لقد عبّأ نفوس الآباء والأجـــداد بالحماسة للمثل العليا فجاهدوا بأنفسهم ليكونوا سوراً لتلك المثُل** . وقد كنّـا بفضل الله وفضل رسول الله ، خير أمـــة أخرجت للناس . آمنت بربها فاستقامت آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ..

فالشكر لرسول الله ثانياً ..

وابتسم صادق ابتسامة المحبة والتقدير .. واقترب مني كمن يهم بتقبيل يد الآخر أو وجهه .

يا سيدي

إنني أشكرك لهذا السبب ؛ لأنـّك عرفتني بفضل الله وفضل رسوله ، وكشفت لي الحجُب عن حكمة الدين .. وكنت من قبل صوم رمضان هـــذا ، متديناً كأعمى .. كنت أصوم وأصلي متذمراً ، غير واعٍ لما وراء ذلك من حكمة ، غير مدرك لمـا تستبطنه الفرائض من مباهج الصحة والسعادة ..

أشكرك لأنك، بمنهج الحكم ، أرشدتني الى محبة الله ومحبة رسوله .. هذه المحبة التي ملأت نفسي بمحبة خلق الله ، ومحبة امة رسول الله ، فرسول الله العربي بعثه الله رحمة للناس جميعـاً ..

إنني اقدّر تواضعك ، وحكمتك .. ولكن منهج رسول الله يُعلم الشكر والاعتراف بالفضل ..

وأنا أشكرك لأنك علمتني المحبـــة بصورة عملية ، لله ولرسوله ، خلال شهر الصبر ، وسأسميه « شهر الفرح » من الآن فصاعداً ..

وسيكون لك شكري اعظم ، اذا لم تقطع رغبتي بالتعلم المستمر .. فأنا احبُّ ان يتحقق مشروع المنهج :

منهج الأمل بشباب إنسانية دائم .

قلت : نفكر بتقريب هذا المنهج المبسّط لجوهر الدين وجوهر الانسان وجوهر العلم وجوهر الحب ..

بعد عيد الفطر المبـــارك ، ان شاء الله .. اعاده الله على المسلمين والإنسانية بالفرح والحب والسعادة ..

كل عام وانتم بخير ..

الى اللقاء يا صادق في رحلة جديدة الى بلاد الفرح ..

***

إشارة

اذيعت هذه الأحاديث من إذاعة الكويت ، طوال شهر رمضان المبارك ، منذ سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩٧٥ م ..

ونشرت في جريدة القبس الكويتية ، يَوماً فيوماً من شهر الصيام .

أعيد نشرها بصورة كتاب آحاديث ؛ لأنني أحبها **تحيات وتمنيات من « صادق وأمين »** ، لكل صادق وأمـــين من بني البشر .. ولأنني أحب السعادة لكـــل إنسان أردت هذه الأفراح الثلاثين في متناول عشاق الأفراح.. كما اراد ذلك صديقي الناشر يونس الشريف .. وأسرة الشرفاء « المحمودية » ....

من اعمال المؤلف المنشورة

لغة واصول

- قصة القواعد : القسم الاول، الرائد العربي، بيروت ١٩٧٣
- مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ، الانسان الجديد ، بيروت ١٩٧٤
- جذور العربية فروع الحياة (بالاشتراك مع الدكتور فكتور الكك) ، دار الفجر ، بيروت ١٩٧٣
- صناعة الكتابة (مع الدكتور الكك) دار الفجر ، بيروت ١٩٧٣
- الاسلوب الصحيح في البلاغة والعروض (مع الاستاذ قاسم الجراح) دار الحياة ، بيروت ١٩٧٤
- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار النعمان ،بيروت ١٩٦٨
- الطلاب اولاً ، فن الانشاء، للمرحلة المتوسطة ، العرفان ، بيروت ١٩٦٧
- الطلاب اولاً ، فن الانشاء ، للمرحلة الثانوية ، العصرية ، بيروت ١٩٦٧

ـ من عام المرأة إلى عام اللغة ، نشر مسلسلا ، جريدة الثورة ، دمشق ١٩٧٦

ـ اللغة والحياة ، مسلسلا ، اذاعة دمشق ١٩٧٦

ـ التراث والمستقبل في عام اللغة العربية ، البيان ، كويت ١٩٧٧

ـ البداوة المنقذة في اللغة والتاريخ ، دار الأصالة ١٩٧٨

ـ فن الحياة فنُّ الكتابة ، اتحاد طلبة سورية ، دمشق ١٩٧٧

أدب وفن

ـ الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٢

ـ فن المنتجب معاني وعرفانه (رسالة دكتوراه في الأدب) . دار النعمان ، بيروت ١٩٦٨

ـ مسرح الجمال والحب والفن ، دار الأصالة ١٩٧٨

ـ النزعة الشعوبية في شعر مهيار ونقدها ، العرفان ، صيدا ١٩٦٧

ـ في مسرح النثر والشعر ، النهار والطريق ، بيروت ١٩٦٧

ـ ملامح عالمية في قومية الرسم العربي ، الأنوار ، بيروت ١٩٦٩

ـ القديم والحديث في الشعر الحديث ، الاسبوع العربي ١٩٧٠

ـ كوى إلى آفاق الفكر الكويتي ، الثقافة ، دمشق ١٩٧٦
ـ تربية ستماية مليون حكيم في شعر من الصين ، دار الأصالة ١٩٧٨
ـ القمر وطاغور وأنا .. فصول في المرأة العربية ، دار الاصالة ١٩٧٨
ـ دورة الانفصال الشعري (بحث قصير)، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٧

فلسفة وتربية

ـ الطلاب وانسان المستقبل المنقـذ ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٧١
ـ الشباب طاقة محركة خلاقة ، كيف توجه (مع رؤساء الجامعات في لبنان)، الرائد العربي،بيروت ١٩٧١
ـ معرفة الله والمكزون السنجاري (رسالة دكتوراه في الفلسفة) الرائد العربي ، بيروت ١٩٧٢
ـ تربية العاطفة والعقل . الخفجي، السعودية ١٩٧٣
ـ كتاب المعلمين ، دار الأصالة ١٩٧٨
ـ كتاب الآباء ، دار الأصالة ١٩٧٨
ـ كتاب الأمهات ، دار الأصالة ١٩٧٨
ـ في التربية والثقافة والسياسة ،والثورة السورية ١٩٧٦-١٩٧٧

اسلام وتاريخ

- الاسلام كما بدا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٢
- فرح الصائمين والصائمات ، ثلاثون حوارية دار الأصالة ١٩٧٨
- في رحاب المصطفى ، ثلاثون درساً عصرياً ، دار الأصالة ١٩٧٨
- ثلاثون درساً عصرياً في الايمان ، دار الأصالة ١٩٧٨
- دروس عصرية في معاني الحاج ، دار الأصالة ١٩٧٨
- قصة الاسلام في عيد الغدير ، (بحث قصير) ، مكتبة مكاوي ١٩٧٥
- موسيقى أعصاب المسيح ، دار الأصالة ١٩٧٨

الشعر

- عاصفة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ايار ١٩٦٧
- روح الفدائي ، مكتبة العرفان ، بيروت ١٩٦٨
- لأنك حبيبتي ، أو اسطورة الصحرا ، التعاونية اللبنانية ، بيروت ١٩٦٨
- زنجية في بلاد السويد ، الموقف الأدبي ، دمشق ١٩٧٦

للدراسات العليا

- مائة ندوة للدراسات العليا ، نشر منها : ١٩٧١-١٩٧٥
١ - المرأة في القواعد ، فصل من كتاب الحقيقة والمرأة ، مكتبة مكاوي ١٩٧٥

٢ ـ تربية الباحث الحر — مكاوي — ١٩٧٥

٣ ـ طريق الباحث الحر — مكاوي — ١٩٧٥

٤ ـ البحث والباحث — مكاوي — ١٩٧٥

٥ ـ التأليف وغاية البحت العلمي — مكاوي — ١٧٩٥

٦ ـ مصابيح القراءة للتأليف العلمي — مكاوي — ١٩٧٥

٧ ـ المصادر والمراجع رؤى ومرايا — مكاوي — ١٩٧٥

٨ ـ صناعة الكتابة للجميع — مكاوي — ١٩٧٥

٩ ـ تحويل المحنة منحة — مكاوي — ١٩٧٥

١٠ـ ضحك الاعصاب للصعاب — مكاوي — ١٩٧٥

كتب تحت الطبع

في التربية

١ – كتاب الآباء — دار الاصالة
٢ – » الآمهات »
٣ – » الاداريين »

في الدين

١ – » دروس عصرية في معاني الحج »
٢ – » » » » الايمان »
٣ – » » » في معاني الصيام والصوم »
٤ – » في رحاب المصطفى »
٥ – » نظرية الدين الكلي »
٦ – » حاجة زمانية في آية قرآنية »
٧ – » مذكرات كلمة قرآنية »

في اللغة

١ ـ كتاب جمال النحو وجمله — دار الاصالة
٢ ـ « حداثة الاصول في النحو الاساسى — «
٣ ـ « علم اللغة علم الثورة — «
٤ ـ « مسرح اللغة والحياة — «

في الأدب :

١ ـ كتاب مباهج الأدب — «
٢ ـ القمر وطاغور وأنا — «
٣ ـ كوى الى آفاق الشعر العربي — «
٤ ـ عالمية الأدب العربي — «

قصة

العشق الزري — «

شعر

١ ـ الصلاة والحب في الصحراء — «
٢ ـ مصطفيات من الشعر — «
٣ ـ الدراسات العليا ومناهج البحث — «

فهرس

... أَلا يؤلِم الكبير انحِدار مَن حوله،
مِن بَني جنسِه، إلى مُنحدَرات الصِّغار؟
أَلا يؤلِم الصّغير تعَالي مَن حَولهُ عَن
الاهتمام بهِ حَتى تموتَ مَواهِبُه؟
لا أحدِّد مُستويات الصِّغار وَ الكِبار
... فكُلٌ يصنِّف نفسه في الدرجَة
التي يُعانيها مِن آلام الحيَاةِ
وَأحزانها ... أو من آمالها وأفراحِها ...
هُنا، أُحدِّد أمراً واحِداً .. فما
هوَ؟

"من المقدمة"

الثمن ١٥ ل.ل.
أو ما يعادلها